

(١)
التنزيلات الليلية
في
الأحكام الإلهية

- مقدمة .
- مسائل وعددها ٥١ مسألة .
- من كنوز أهل الله .
- من رسالة نسب الخرقه .

- نقلتها من نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر الشريف أدامها الله عامرة بمنه
وكرمه .

رقمها الخاص : ٩٦١ ، رقمها العام : ٣٣٥٩٥ ، تصوف .

وهي ضمن مجموعة .

يقول الله تبارك وتعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ .

صدق الله العظيم

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم الحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

وبعد :

من المعروف أن التصوف هو : العمل بكتاب الله وسنة رسوله (ص) .

هذه قضية لا نزاع - عندنا - فيها ولا إشكال .

ومن المعروف أيضاً أن التصوف الأصيل شيء والدخيل شيء آخر .

قال الإمام الجنيد (رحمه الله تعالى ورضي عنه) عن التصوف :

«علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة» اهـ .

وقال أيضاً : «الطريق إلى الله مسدود : إلاّ على المقتفين آثار رسول الله

(ص)» اهـ .

وقال سهل بن عبد الله التستري (رحمه الله ورضي عنه) :

«أصولنا سبعة :

١ - التمسك بكتاب الله .

٢ - والإقتداء برسول الله (ص) .

٣ - وأكل الحلال .

٤ - وكف الأذى .

٥ - واجتناب المعاصي

٦ - والتوبة .

٧ - وأداء الحقوق « اهـ » .

وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي (رضي الله عنه وأرضاه) .

«ليس هذا الطريق بالرهبانية ، ولا بأكل الشعير والنخالة ، وإنما هو بالصبر على الأوامر ، واليقين في الهداية .

قال تعالى : ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ « اهـ » .

وقال أيضاً (رضي الله عنه) :

«ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان ، ومتابعة السنة ، فمن أعطيهما وجعل يشاق إلى غيرهما ، فهو مفتر كذاب» .

ونحن معه في كل ما قال (رحمه الله تعالى) ، ولا نخالفه .

* * *

وقول الشيخ محمود خطاب السبكي في مقدمة كتابه «المنهل العذب المورود» لما سأله الشيخ حسونة النواوي عن التصوف ، قال ما لفظه :

«إن القلوب مملوءة بحب الدنيا ، فلا محل فيها لقبول شيء من التصوف» .

فيه الرد الكافي على كل مفتر كذاب .

وإذا كان ابن تيمية نفسه (رحمه الله تعالى) قد أباح الوقف للصوفية (رضي الله عنهم) .

فأما أن يكون قد حدث عنده عته فخالف نفسه .

وأما أن يكون هؤلاء المتتبعون : لم يفهموا ما يقول الرجل ، أو ما يهدف إليه .

وأما أن ينبذوه أيضاً وراء ظهورهم : ابتاعاً لرأيهم .

وأما أن يريحونا من هذا الهراء الذي يذيعونه على الناس .

قال صاحب كتاب : «الاختيارات الفقهية - فقه حنبلي - [قال ابن تيمية في الفتاوى : «ويصح الوقف على الصوفية .

فمن كان جماعاً للمال ، ولم يتخلق بالأخلاق المحمودة ، ولا تأدب بالآداب الشرعية ، وغلبت عليه الآداب الوضيعة ، أو كان فاسقاً : لم يستحق شيئاً . اهـ منه .

أما الدخيل على التصوف ، وهو الذي اخترعه بعض الناس اليوم ، فليس من الإسلام .

فإن الله تعالى أمرنا أن نعبدہ بما أنزل إلينا في القرآن والسنة الشريفة وحسب ، وليس لنا أن نخترع شيئاً من عند أنفسنا ونسميه عبادة .

* * *

على أننا ننادي بأعلى أصواتنا وأرفعها :

«إن التصوف لا يصلح له إلا صدق الدعوة ، والإيمان بها من عميق القلب . لأن الدعوة إلى الله بالعزم والقوة الصادقة . إذ هو القسم الثالث من أقسام الحديث الشريف «أن تعبد الله كأنك تراه» .

* * *

نحن نعرف أن سيدنا سلمان الفارسي (رضي الله عنه وأرضاه) كان من أعز أصحاب رسول الله (ص) .

وكذلك سيدنا أبو الدرداء (رضي الله عنه وأرضاه) . وكان قد آخى بينهما رسول الله (ص) .

ولما أنتقل رسول الله (ص) إلى الرفيق الأعلى وتوزع أصحابه في البلاد : سمع سيدنا سلمان أن سيدنا أبا الدرداء يعظ الناس - وحق له ذلك - لأنه عاصر رسول الله (ص) وعرف سني^(١) أحواله ، فلم لا يعظ ، وهو من هو بين الصحابة الأجلاء ؟ .

ولكن التناصح بين المسلمين : حق واجب .

(١) بفتح السين المهملة وكسر النون الموحدة من فوق .

فأرسل إليه كتاباً هذا نصه :

«يا أخي ، بلغني أنك قعدت طبيباً تداوي المرضى ، فانظر ، فإن كنت طبيباً : فتكلم ، فإن كلامك شفاء .

وإن كنت متطبباً ، فالله ، الله . لا تقتل مسلماً» اهـ .

* * *

هذه الكلمة الطيبة التي قالها سيدنا سلمان (رضي الله عنه) . نسوقها إلى مشايخ الطرق :

[إن كنتم كذلك ، أمناء على دينكم ، تحسنون القيام على خدمة الطريق بما يرضى الله تعالى ورسوله (ص) ويحفظ دينه ، فالحمد لله تعالى .

ومن كان منكم لا يحسن الوضوء ، فليجتنب الدعوة - إلى طريق الله تعالى - إلى من هو أولى منه من أهل العلم والأمانة .

والأفحسابكم عند الله طويل ، ويومكم أسود من فحم جهنم] .

* * *

من ذاق طعم شراب القوم يدره ومن دراه ، فبالروح يفديه .

هؤلاء القوم - وهم الصوفية - ابتلوا بالإتهامات الصعبة ، الشنيعة التي لا يرضاها الله ، ولا رسوله ، ولا المؤمنون .

قال جماعة : إن التصوف : لم يكن على عهد رسول الله (ص) ، وإنما وجد في القرون الآتية بعده عليه الصلاة والسلام .

وقال جماعة : إن التصوف : كلمة «يونانية» نقلها بعض المسلمين لما اختلطوا باليونان :

وقال جماعة : كذا

وقال جماعة : كذا

وقال جماعة : كذا

وهكذا : تقولوا عليهم أقاويل : لا يساعدهم عليها العلم الصحيح ، ولا النظر الدقيق .

والقصد من كلامهم هذا : محاربة التصوف الذي يدعو إلى الكتاب والسنة الصافية : البعيدة عن المادية البشعة التي سيطرت على المسلمين ، فأذلتهم ذل العبيد .

وصدق رسول الله (ص) :

«إني لا أخشى عليكم الشرك ، ولكني أخشى عليكم الدنيا : أن تنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم» .

على أن الدنيا ليست هي الكسب والمال ، فإن الله سبحانه وتعالى واجهنا مواجهة صريحة ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ .

ولكن الدنيا هي : جمع المال من الحرام الصرف ، أو الحرام المختلط بالحلال .

إذ جامعه لا يبالي : كيف أكتسب هذا المال : من حرام أم من حلال .

ومن لم يبالي بما أكتسب من حرام أو من حلال : لم يبالي الله به أن يهلكه في أي أودية جهنم ، والعباد بالله .

وكيف ندعوا المسلمين إلى ترك التكسب ، وقد كان عبد الرحمن بن عوف - من أصحاب رسول الله (ص) - تاجراً ومن أغنى أغنياء الصحابة (رضي الله عنه وعنهم) ، ودعى له رسول الله (ص) بالبركة في أهله وماله .

وكان كذلك كان عثمان بن عفان .

وكذلك سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه وعنهم جميعاً) .

ولو دعونا إلى ترك التكسب : لكننا داعين إلى أن يملك أقواتنا اليهود والنصارى ، كما فعل أقوام أودعوا أموالهم في بنوك اليهود ، وعمرؤا بها أوروبا . فخربوا ديار المسلمين . إذ تحولت هذه الأموال إلى رصاص في صدور المسلمين .

وهذا من الشيء الذي لا يرضاه الله ولا رسوله ولا عقلاء المؤمنين ، ولا مجانينهم أيضاً .

* * *

وأما قولهم : إن كلمة «تصوف» كلمة يونانية ، فإن كثيراً من الكلمات العربية : وافقت كلمات غير عربية ، ومع ذلك كانت كلمات عربية : [عربية صافية ، من أصل عربي] - استعملها العرب في كلامهم - ، ولم يحب عليهم أحد : أنها غير عربية .

ولكن الحق الذي يجب أن يعرف : أن هؤلاء الذين عابوا على التصوف اسمه ومعناه : تلوث عقولهم بما بثه المستشرقون ومن لف لفهم ، وحشوا كتبهم بأقوالهم .

بل وصل بهم الحد - حد السفه - إلى أن وصفوا بعضهم بأنه معتدل ، وأنه يمدح الإسلام ورسول الإسلام ، ويصفه وصفاً طيباً .

وما دري هؤلاء أن السم في العسل ، وأن أي مستشرق من هؤلاء - مهما كان اعتداله - إنما هو شيطان في صورة إنسان .

والمثل المنتشر عندنا : «ما يأتي من الغرب شيء يسر القلب» هو أصدق مثل في هذا المضمار .

وقد قال عبد الله بن مسعود عن النصارى واليهود : «... أنهم لن يهدوكم وقد ضلوا» .

وقال سيدنا عمر (رضي الله عنه) ، عنهم : «... كيف تصدقوهم وقد كذبهم الله ، وكيف تأمنوهم وقد خونهم الله» .

و [قال العراقي - في مستخرجه على المستدرک ما نصه - :

لا يحل لطالب العلم أن ينقل عن المستدرک - من النسخ التي لا يوثق بها - حديثاً بصيغة . .

ولا نسخة يوثق بها حينئذ .

لا سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه أن ينسخ كتب العلم من ليس من أهل الملة» اهـ] .

ومثل هؤلاء كثيرون من سلفنا الصالح ، فكيف نترك وصايا سلفنا ونتبع هذا الهوس الذي يذيعه من لا يعرف عن دينه شيئاً ، ويعرف كل شيء عن أوروبا وما

فيها ، حتى عن أزقة الخمارات وملاعب القمار .

* * *

أول من نشر عن ابن عربي (رحمه الله تعالى) : أنه يقول بوحدة الوجود والاتحاد والحلول : المستشرقون أنفسهم : لحاجة في نفس إبليس : (لعنه الله ، ولعنهم معه) .

وإليك الدليل المادي القاطع في ذلك :

في حاشية ابن عابدين - في المتن - طبع المطبعة الأميرية جـ ٣ ص ٢٩٤ ما نصه :

« . . . وفي المعروضات المزبورة ما معناه أن من قال عن فصوص الحكم للشيخ محي الدين بن العربي : أنه خارج عن الشريعة ، وقد صنفه للاضلال ، ومن طالعه ملحد : ماذا يلزمه ؟ .

أجاب : نعم ، فيه كلمات تبين الشريعة ، وتكلف بعض المتصنفين لإرجاعها إلى الشرع .

لكننا نيقنا أن بعض اليهود أفترأها على الشيخ (قدس سرّه) .

فيجب الاحتياط بترك مطالعة تلك الكلمات ، وقد صدر أمر سلطاني بالنهاي ، فيجب الإجتنا ب من كل وجه انتهى ، فليحفظ» اهـ .

ونحن نقول : هل يكون هذا اليهودي إلأ مستشرقاً ، أو تلميذاً لهم .

ومن الأدلة على أنه لا يقول بالاتحاد : ما قاله هو في هذه الرسالة التي قدمنا لها ، قال :

«مسألة : إذا كان الاتحاد يصير الذاتين ذاتاً واحدة فهو محال . لأنه إن كان كل واحد منهما موجوداً في حال الاتحاد : فهما ذاتان ، فإن عدمت العين الواحدة ، وبقيت الأخرى : فليس إلأ واحد» .

وقال أيضاً : « . . . ومن هذا أيضاً زلت أقدام طائفة عن مجرى التحقيق ، فقالوا : ما ثم إلأ ما ترى ، فجعلت العالم هو الله والله هو نفس العالم ليس أمراً آخر ، وسببه : هذا المشهد ، لكونهم ما تحققوا به تحقق أهله فلو تحققوا به ما قالوا بذلك ، وأثبتوا كل حقيقة في موطنها» .

وقال أيضاً : « لا حاجة لنا في إقامة الدليل على إثبات الوحدانية ، فإن المشاهد تمنع الجدل في الله وفي وحدانيته » .

ويقول أيضاً : « فلا يصح أن يجتمع الحق والخلق في وجه أبداً من حيث الذات » .

ويقول : « فلو جمع بين الحق الواجب بذاته وبين العالم وجه : لجاز على الحق من ذلك الوجه ما جاز على العالم من الدثور ، وهذا محال ، فإثبات وجه جامع بين الحق والعالم محال » .

هذا لفظه .

فهل تجد أيها الأخ المسلم : أصرح ، وأبين ، وأجل ، وأوضح في أنه لا يقول بالحلول ولا بوحدة الوجود ولا بالاتحاد من هذا ؟ .

والمطالع لهذه الرسالة يرى بنفسه : أنه دفع الفلاسفة دفعا شديداً أزالهم عن أماكنهم ، ودحضهم بالحجة والبرهان ، وطرح عقولهم تحت أقدامه (رضي الله عنه) .

علماً بأنك ستطالع في هذه الرسالة أيضاً وفي غيرها من كتبه التي سنخرجها إن شاء الله تعالى : ما يجلو العمى عن بصائر من يحبون الحق ويسعون له ، ولا يبالون بغيره ، وعن الإنسان الذي وضعوا على عينيه غشاوة وعلى سمعه غطاء حتى لا يسمع ولا يبصر إلا ما يقولون له : « أنه صحيح أو غير صحيح » .

ومن أضل ممن الفى سمعه وبصره ليستعمل أسمع وأبصار اليهود والنصارى ؟؟ فلا يرى إلا بأعينهم ، ولا يسمع إلا بأذانهم ؟؟ .

ولكن إذا أزيلت الغشاوة : أتضح الحق ، وانفضح الباطل ، وانخرقت سفته .

والحمد لله - ليس لنا من غرض - إن شاء الله تبارك وتعالى - إلا أن ندعوا المسلمين جميعاً إلى وحدة الصف وكمال الرصف ، وأن يواجهوا المخاطر بقلب واحد ، مجتمع على الله تعالى ، وأيد متماسكة ، وأن يتركوا شتم بعضهم بعضاً ، وتكفير بعضهم الآخر ، فإن صاحب الملك سيحاسب كل فرد عما جناه .

ولا نعتقد في كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن
محمدًا عبده ورسوله : إلا النجاة يوم القيامة .

وحساب الجميع على الله تعالى .

وهو أرف بنا وبهم من الوالدة على ولدها .

وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

الحمد لله واهب الأسرار لأرباب المشاهدات بالأبصار ، القائمين بوظائف المجاهدات والأفكار ، مطالع الأنوار لأصحاب النظر والإستبصار ، من خلف حجاب العقول والأفكار .

فقل في العلم على هذا التقسيم : «إنما : وهب باعتبار وكسب باعتبار»^(١) .

والعلم الوهبي : الذي لا يدخله كسب بوجه من الوجوه ، وهو العلم العزيز المقدار^(٢) : هو ما أدت إليه العجبة الطاهرة الأصل والنشأة : عندما ترددت في عالم الإنتقالات في الأطوار .

وأنقلقت من عالم الأغذية إلى عالم التقديس والأظهار ، في أسعد دور يكون من الأدوار ، وأيمن طالع طلع في ليل كان أو نهار .

فخرجت النشأة الطبيعية على غاية الصفاء والاعتدال ، الذي أعطاه مكور الأكوار^(٣) .

كما قيل في السيد المصطفى المختار :

(١) هكذا في المخطوطة ، و«وهب» بضم الواو مع كسر الهاء ، أو فتح الواو وسكون الهاء .

(٢) لأنه لا يوهب إلا لمن رضي الله عنه .

(٣) من قوله تعالى : ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ .

«تخيرك الله من ادم ، فما زلت منحدرًا ترتقي» .

فكان إنحداره في عالم الظلم والأغبار : تصفية ، وتخليصاً ، وتخليّة ،
فبورك فيه من إنحدار .

وكان عين الترقى إلى مقام أقدس ، ونعت أنفس ، يعسر مدركه^(١) على
المجتهدين ، والنظار .

فكان المعتدل النشأة ، الحسن الهيئة ، والمرضي الخصال ،
المحمود المناقب والآثار : صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء الأخيار ، ما
حكم سلطان الزهر في الأزهار ، وما كانت «سيئات المقربين حسنات» الأبرار^(٢) ،
وسلم تسليمًا كثيرًا :

فصل

أما بعد : فإن للعقول حدًا تقف عنده من حيث ما هي مفكرة ، لا من حيث
ما هي قابلة^(٣) ، فما لها لا تقف عند حدها^(٤) ؟؟؟ «فما هلك امرؤ عرف
قدره»^(٥) .

١ - مسألة : أية مناسبة بين الحق سبحانه : الواجب الوجود بذاته ، وبين
الممكن وإن كان واجباً به^(٦) . عند من يقول بذلك من القائلين بإقتضاء ذلك العلم
السابق بكونه - وما أخذها الفكر به ، إنما تقوم وتصح بالبراهين الوجودية . . .
براهين «أن ولا بد من الدليل [و] المدلول» ، والبرهان ، والمبرهن عليه من وجه

(١) بفتح الميم وسكون الدال .

(٢) وهي دائمة أبداً لا نزول ، فهو يطلب صلاة وتسليماً على رسول الله (ص) دائمة ، ونحن
نطلبها معه كذلك .

(٣) لأن الفكر لا يستطيع الإحاطة بكل شيء . إما أن يكون قابلاً للتفكير فهو أمر معلوم .

(٤) يريد بهذا - والله أعلم - أن العقل عند ذكر ما يتصل بالله تعالى - من قريب أو بعيد - يجب أن
يقف عند حده ولا يتعدى طوره ، فإن مداره في الماديات فحسب .

(٥) ولذلك قالوا «رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه» .

(٦) الواجب لذاته بذاته هو الله تعالى : والمخلوق عندما يوجد : إنما يكون وجوده واجباً بإيجاب الله
له ، وهذا يقول به جماعة كما قال الشيخ (رحمه الله تعالى) - عند من يقولون به - والمقصود
منها أن كل شيء خلق : هو ممكن لا واجب ، فإن واجب الوجود واحد - لا يتعدد - .
والضمير في قوله «به» راجع إلى «الحق» سبحانه وتعالى .

به يكون التعلق : «له تعلق بالدليل وتعلق بالمدلول» .

ولولا ذلك الوجه : ما وصل دال إلى دليل مدلوله أبداً .

فلا يصح أن يجتمع الحق والخلق : في وجهه أبداً ، من حيث الذات ، لا من حيث أن هذه الذات منعوتة بالألوهية ، فهذا علم آخر يستقل العقول^(١) بإدراكه ، لا يحتاج في ذلك إلى كشف بصري .

فكل معقول - عندنا - يكون موجوداً : يمكن أن يتقدم العلم به من حيث الدليل على شهوده ، إلا الحق سبحانه ، فإن شهوده يتقدم على العلم به : من حيث الذات ، لا من حيث الإلهية ، فإن الإلهية في هذا الحكم مناقضة للذات في حكم تعلق العلم .

فالإلهية : تعقل ، ولا تكشف ، والذات تكشف ولا تعقل^(٢) .

وهذا البحر بحر ، لا ساحل له ، من وقع فيه لا يمكن أن يسبح فيه ، فإنه بحر الهلاك للبصائر بالذات ، فلا سبيل إلى الخوض فيه^(٣) .

وكم من متخيل ممن يدعى العقل الرصين من العلماء القدماء : يظن أنه يسبح في هذا البحر ، وقد عاينا منهم جماعة على هذا المذهب من الأشاعرة ، بمدينة فاس وهو يسبح في بحر وجوده ، لأنه متردد بفكره بين السلب والإثبات^(٤) .

فالإثبات راجع إليه ، لأنه : ما ثبت إلا ما هو عليه في نفسه .

ففي نفسه يتكلم ، وعلى عينه يدل ويبرهن .

والحق وراء ذلك كله .

(١) بفتح العين : أي يستعمل عقله استعمالاً صحيحاً .

(٢) لأن الإلهية ثابتة لله تعالى ، حتى ولو لم يخلق خلقاً ، وهذا من جهة العقل ، وذات الله لا يحدّها حد ، ولا يستطيع أن يحيط بها عقل ، ومعنى أنها تكشف - والله أعلم - أن أي شيء يعرف أن لهذا العالم إلهاً مدبراً ، ولكن ذات الإله : لا يعرفها أحد .

(٣) وهذه الجملة نهديها للذين يتهمونه بوحدة الوجود .

(٤) يعني : أن هذا الإنسان الذي يسبح في هذا البحر : إنه يسبح في بحر عقله هو ، لأن الذي يتكلم فيه : أما نفي أو إثبات ، والذين يسبحون في عقولهم هم الفلاسفة .

والسلب راجع إلى العدم ، والعدم : نفي الإثبات .

فما حصل لهذا المفكر المتردد بين السلب والاضافات من العلم بالله شيء .

هيهات : فزنا ، وخسر المبطلون .

إني للمقيد بمعرفة المطلق^(١) بذاته ؟ لا تقضيه ، ولا راحة له منه .

وكيف للممكن أن يصل إلى معرفة الواجب بالذات ؟ وما من وجه للممكن إلا ويجوز عليه العدم والدثور .

فلو جمع بين الحق الواجب بذاته ، وبين العالم وجه : لجاز على الحق من ذلك الوجه ما جاز على العالم من : الدثور^(٢) ، وهذا محال .

فإثبات وجه جامع بين الحق والعالم : محال .

٢ - مسألة : لكني أقول : إن للإلهية أحكاماً [فإن كانت حكماً]^(٣) ، وفي ضوء هذه الأحكام يقع التجلي في الدار الآخرة ، حيثما كانت ، فأقول بالحكم الإرادي .

لكني لا أقول بالاختيار ، فإن الخطاب بالاختيار : للتوصل بما تقرر في العرف لثبوت الإيمان ، كأحاديث التشبيه وأمثالها .

وإن كان له مدخل صحيح من وجه : ذكرنا .

لكن لا يقتضي ذلك ما نحن بصدده .

٣ - مسألة : فأقول على ما أعطاه الكشف الاعتصامي^(٤) : «إن الله كان ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان»^(٥) في الحكم ، والآن .

(١) المقيد هو الإنسان ، والمطلق هو الله تبارك وتعالى .

(٢) الاندثار والهلاك والزوال ، وحاشا لله تعالى .

(٣) ما بين القوسين هكذا هو في المخطوطة ، ولعل هنا سقطاً .

(٤) أي الذي اعتصمنا به من الخطأ والزلل ، والله أعلم .

(٥) في كتاب «إستحالة المعية بالذات» للشنقيطي بعد كلام كثير : ما نصه : «... ذكر بعض

العلماء أنه من حديث أوله «كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان» قال ابن تيمية

هذا الحديث موضوع ، وتعقبه في فتح الباري قائل : إن لفظ «ولا شيء معه» : رواية

البخاري : «كان الله ولم يكن شيء غيره» بمعناها ، فليست موضوعة .

وكان : [أمران عائدان علينا]^(١) ، إذ بنا ظهر ، وأمثالهما . وقد انتفت
المناسبة بظهور حكم الواحد عليه من وجهين مختلفين .

يا واهب العقل أعميت البصائر عن	مدارك الكشف : فارتدت على العقب
إن أنصفت تركت أفكارها وأتت	فقيرة : تستمد العلم بالأدب
فيضاً على قائل فإن : سجيته	ذكية ^(٢) من ضروب الشك والريب
قامت على قدم الأجلال آخذه	جواهر العلم في حق من الذهب
وأخذها بصري : أو بصيرتها	مشحونة الذات في بيت من اللهب
فما لها من وجود الحق معتمد	سوى التعليل بالعلات والسلب
لكن لها الحكم بالتمثيل يعضدها	عوالم الحس بالأرفاد ^(٣) والعطب ^(٤)

والقول عليه : «كان الله ولا شيء معه» إنما هي في الألوهية : لا الذات من
حيث وجودها ، فتحقق .

وكل حكم ثبت في باب العلم الإلهي للذات : إنما هو لحكم الألوهية ،
وهي أحكام كثيرة ، هي : نسب^(٥) وإضافات ، وسلوب : ترجع إلى عين
واحدة .

قلت : وهي أيضاً عين رواية مسلم «كان الله ولم يكن معه شيء» ، وكذا رواية نافع بن زيد
الحميري : «كان الله لا شيء غيره» بغير «واو» ، والجملة الأخيرة ، وهي : «وهو ما عليه كان»
معناها قطعي الثبوت ، لأنه إذا لم يكن على ما كان عليه أولاً : كأن انتقل من مكان إلى
مكان ، ومن حال إلى حال ، وهو وصف الأجرام المسنحبل إتصافه به تعالى بالدلائل العقلية
والنقلية .

فإذا سلمنا أن اللفظ موضوع ، فالمعنى ثابت : شرعاً وعقلاً ، وهو المنشود ، وأظن أن ابن
تيمية قصد بجعل هذا الحديث موضوعاً : تقوية مذهبه الذي هو حوادث لا أول لها لصراحة
هذا الحديث في الرد عليه ، ولم يحصل له غرض ، لكون الجملة الأولى منه ثابتة اللفظ
والمعنى ، والأخيرة ثابتة المعنى «أهـ منه ص ٣٦٨ .

أقول أنا كاتب هذه السطور : ولعل من الأسباب التي جعلت المتتبعين يتحاملون على الرجل -
ابن عربي - مخالفته لمذهبهم في الجلوس على العرش والنزول والإستواء ، والله حسبنا ونعم
الوكيل .

(١) ربما كان يقصد - والله أعلم - مدلول «كان» في أول الحديث ، و«كان» التي في آخره .

(٢) مطهرة .

(٣) الإعطاء والصلات ، من الرشد ، فكسر الراء المشددة .

(٤) الإهلاك .

(٥) بكسر النون المشددة ، وفتح السين .

ثم تعدد من حيث الآنية والهوية .

ولأنما تعدد من حيث الحقائق الامكانية ، والفهوانية^(١) .

فالكثرة في العالم : حكماً وعيناً^(٢) .

وهناك : حكماً لا عيناً ، ونسباً^(٣) : لا حقيقة .

وهنا زلت أقدام طائفة من الإسلاميين^(٤) حيث حكموا بمن يقبل التشبيه : على من لا يقبل التشبيه .

واعتمدوا على ما تحققوه من الأمور الجامعة والرابطة ، كالدليل ، والمدلول ، والحقيقة ، والمحقق .

وهذا : لا يليق بالذات .

لكن تقبله : الألوهية ، وترده من وجه ، فالتزمت طائفة وجه القبول ، والتزمت طائفة أخرى : وجه الرد ، فوقع بينهما^(٥) ، وقال كل واحد من الفريقين ببطلان مذهب صاحبه .

والألوهية تحكم بالاصابة للفريقين^(٦) .

وسبب اختلافهم : حبسهم في دائرة الفكر : لم يبرحوا منها إلى المقامات الخارجة عن أطوار العقول ، وهي أطوار : الولاية ، والنبوة .

حسب العقول : التسليم لما يأتي به هذان الصنفان : أن أنصفت^(٧) .

(١) قال في القاموس : «وأفهى» : قال رأيه ، اهـ .

والمقصود هنا - والله أعلم - أن هذه التي يقولون أنها حقائق : إنما كانت حقائق عن طريق القول بالرأي : تثبت ولا تثبت .

(٢) يعني تراها رأي العين .

(٣) بكسر النون وفتح السين .

(٤) المقصود بهم - والله أعلم - فلاسفة المسلمين ، وفيه دليل على : أنه لا يرى رأي الفلاسفة ، كما ادعى كثير من المستشرقين والمستغربين .

(٥) «فوقع بينهما» بضم الواو وكسر القاف ، أي هذا الذي قالوه أوقع بينهم الشقاق والخلاف والشر .

(٦) وقد حقق وجه الإصابة قبل ذلك بأسطر ، فتأمل .

(٧) والمقصود - والله أعلم - أن عقولهم يجب أن تسلم .

وإن لم يوف الفكر حقه ، وصحبها التقصير والعمى : ردت الأخبار النبوية والكشوفات ، والحفتها بالخيالات الفاسدة ، لمناقضتها الأدلة التي قامت عند الخصم فيم يزعم^(١) .

وهو المخطيء في كونه اعتمد دليلاً : ما ليس بدليل . فإن هذه الأمور لا تعارض الأدلة العقلية البتة .

لكن : ليس كل ما يتخذه العقل دليلاً هو دليل ، لأن غلطه كثيراً^(٢) ، وليس بضروري فيستوي فيه العقلاء !!

وهذا النبي من جملة العقلاء ، بل أجل العقلاء ، وأكملهم عقلاً ، ولم يخل ذلك الذي أتى به دليله ، بل دله العقل على إمكانه .

فالتسليم أولى بمن لم يذق مدارك الكشف ، ولا ظهر له سلطان فيها .

فلو انصفونا من نفوسهم ، وسلموا لهذين الصنفين^(٣) أحوالهم لسعدوا في الدارين ، واستفادوا .

ولكن ما نعتهم من ذلك : «آخر ما يخرج من قلوب الصديقين : حب الرئاسة»^(٤) .

مسألة : وإذا ثبت ما ذكرناه وتقرر - وإن قصرت أفهام أهل الفكر عن إدراكه - فلنقل : مخاطباً أوليائنا وأصحابنا الذين على مدرجتنا^(٥) :

إن علومنا غير مقتنصة من الألفاظ ، ولا من أفواه الرجال ، ولا من بطون الدفاتر والطروس .

بل علومنا عن تجليات على القلب ، عند غلبة سلطان الوجد وحالة الفناء

(١) يعني إذا عجزوا عن إثبات الأمور التي يريدون إثباتها : ردوا ما جاء به الرسل وما يكشف الله لأوليائه من الحقائق ، وقالوا : إن هذه خيالات لا يقبلها العقل ، وبذلك حكموا عقولهم فيما لا حكم لها فيه .

(٢) أي العقل .

(٣) الأنبياء والأولياء .

(٤) أي أن حبهم للرئاسة هو المتمكن في قلوبهم ، فلا يخرج منها ، وهو الداء العضال .

(٥) المدرجة : الطريق .

بالوجود ، فتقوم المعاني : مثلاً وغير مثل : على حسب الحضرة التي يقع التنزل فيها .

فمنها ما يقع من باب المحادثة .

ومنها ما يقع من باب المسامرة ، ومن باب ما يُقال ، ومن باب ما لا يُقال^(١) .

٤ - مسألة : والوهاب الإلهي : كله يُقال^(٢) ، وتأخذ العبارة ، وتيسيطه .

غير أنه قد يقترون به أمر الإفشاء في وقت ، وأمر الكتمان في وقت^(٣) .

وقد بسكت عنها إبتلاء في حقنا ، لنلزم الأدب ونحفظ الأمانة ، ولنقوى في علم المواطن التي توجب الإفشاء والكتم ، فيغني التحقق في ذلك : عن ورود الأمر والإفشاء والكتم .

والعلة في كون الألوهية (تُقال) : لأنها حكم مقتنص بالدليل الكوني المألوف ، ولا بد من وجه جامع يربط الدليل بمدلوله .

فمن هناك : صح أن يُقال : «التجلي الإلهي» .

والتجلي الذاتي : لا يُقال البتة ، لكن يشهد .

وإذا شوهد : لا ينضبط .

ولا يشهده إلا الخاصة .

وليس في الكون طريق إليه ينال به ، فإنه تعالى عن أن يدرك بالسعائيات ، لما ذكرناه من الارتباط .

فهو اختصاص مجرد ، وليس جزاء ، وهو : الزيادة على الحسن^(٤) .

(١ ، ٢) في المخطوطة «ما يقال وما لا يقال» .

(٣) يعني لكل وقت ما يصلح له .

(٤) من قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ٢٦ من سورة سَيِّدُنَا يونس (عليه الصلاة والسلام) ، روى الإمام مسلم والإمام أحمد وجماعة من أئمة الحديث أن رسول الله (ص) : تلى هذه الآية ، وقال : «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار : نادى مناد : يا أهل الجنة : إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : وما هو : ألم يثقل موازيننا ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجزنا من النار» قال - فيكشف لهم الحجاب ، فينظرون =

٥ - مسألة : وإذا ثبت ما ذكرناه ، فكل ما وقفت عليه في كتبنا أو كتب أصحابنا : مما يجري هذا المجرى ، فهو مما ذكرناه ! فما دون^(١) .

فلا تطمع فيما لا مطمع فيه ، فإن حجاب العزة أحمى^(٢) ، وهو بحر العمى .

من هذا البحر : أتصفنا بأوصاف الربوبية من : القدرة ، والقهر ، والرحمة ، والرافة ، وجميع الأسماء التي يتخلق بها ، وهي حق الألوهية .

كما أتصفت الألوهية من هذا البحر بما هو حق لنا من : التعجب ، والتبشيش ، والضحك ، والفرح ، والمعية ، والايئية . وجميع النعوت الكونية^(٣) .

فإن سعيت في تخليص ذاتك من يد حجابك ، وتحريرها من رق الكون : أطلعت على الحكمة التي لها قبل هذه الأوصاف التي وصف بها نفسه ، في كتبه وعلى ألسنة سفرائه ورسله (ع) ، وعلى الحكمة التي لها : قبلنا هذه الأوصاف الربانية التي وصفنا بها ووجدناها نحن في ذواتنا .

وهل القبول لما ذكرناه حقيقي . أو مجازي ؟ وذاتي أو عرضي ؟ وحكمي أو حكمي^(٤) .

= إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم .
وروى ابن جرير قوله (ص) : «إن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي : يا أهل الجنة - بصوت يسمع أولهم وآخرهم - إن الله وعدكم الحسنى وزيادة ، فالحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الرحمن عز وجل» .

راجع ابن كثير وغيره من التفاسير تجد فيها كثيراً من الأحاديث في هذا الباب .

(١) بمعنى : أقل .

(٢) أي أعز وأقوى من أن يتقحمه متقحم .

(٣) من مثل قوله (ص) : «عجب ربنا من قوم يفادون لى الجنة في السلاسل» رواه أحمد ، والبخاري ، وأبو داود وغيرهم . والقصد من هذا أن الله سبحانه وتعالى عبر بهذه الكلمات لأننا نحن المخلوقين : لا نستطيع أن نفهم إلا عن هذا .

وانصافك أنت المخلوق بما أتصف به رب العزة : تصاف مخلوق : عندما تزول تزول منك هذه الصفة أو من الممكن أن تزول منك وتتصف بأخرى مضادة لها ، والله تعالى منزّه عن ذلك . وإنما خاطبك بها : لأنك لا تعقل غير ذلك ، فأنت مخلوق مقيد ، ولا تفهم إلا الفاظاً مقيدة . والله تعالى أعلم .

(٤) الأولى : بضم الحاء وسكون الكاف ، من الحكم . والثانية بكسر الحاء وسكون الكاف : من الحكمة .

٦ - مسألة : أنظر - وفقك الله - من أردته ، لن تصل إليه إلا به .

ومن أراد أن يصل إليك [لم يصل] إلا بك ، فانظر الباعث الداعي لنزولك عليه ، أو نزوله عليك : هو معدن الحكمة الموجبة : عين المناسبة بينك وبينه .

وانظر : هل يصح هذا في الحضرة الذاتية : تجد ذلك محالاً .

٧ - مسألة : الإفتقار : موجب النزول بلا شك ولا ريب ، والإفتقار على الذات محال ، فالنزول محال^(١) ، ولنغض العين عن بسط هذا المدرك ، فإنه بحر مهلك .

وإن كانت سواحله بادية ، لكن موجه عظيم ، ودوابه مؤذية [وسفيتها]^(*) ولا يقع فيه الاقالة .

لكن الفريق فيه : ناج سعيد ، والناظر إليه [من سيفه : المنشق عليه من هوله : ناج محروم]^(٢) ، وهم الأكثرون .

فالمؤمنون : كثر ، وعاملوا الصالحات قليلون .

هذا - وفقكم الله - وقد ذكرنا طرفاً مما تستحقه الذات والحكم الإلهي ، وفرقنا بينهما بالوجوه التي تقتضيه كل حضرة منها .

٨ - مسألة : المتوجه على إيجاد كل ما سوى الله تعالى : إنما هي الإلهية ، وأحكامها ونسبها^(٣) وإضافاتها : المعبر عنها بالأسماء والصفات ، وهي التي استدعت الآثار ووجود كل ما سواها .

إذ : قاهر بلا مقهور ، وقادر بلا مقدور ، وراحم بلا مرحوم ، وخالق بلا مخلوق ، إلى جميع الأسماء الإضافية : لا يصح ، بل لأنه منه صلاحية من حيث الإمكان مقهور .

(١) أي النزول المعروف لنا ، لأنه بحركة وجسم وإلى جهة ، والله تبارك وتعالى : يتعالى عن هذه الصفات لأنها صفات المخلوقين .

(*) هكذا هي .

(٢) هي هكذا في المخطوطة ، والمعنى : مع أن السيف قائم على رأسه لكنه ينظر إلى ذي الجلال والإكرام ، فهو ناج إلا أنه محروم من الإمدادات الإلهية مع الحفظ - والله تعالى أعلم - وقد فسر كلامه بعد (رحمه الله تعالى) .

(٣) «نسبها» بكسر النون وفتح السين .

فالقاهر بالصلاحية .

فهو حكم الألوهية بالصلاحية لا بالفعل .

وأن يتصور البينية بين الحق والموجود الأول ، فمتى يتصور وجود الأجسام وما تحمله من المعاني : بينها وبينها ، لا بين الحق وبينها ، لوجوه قد ذكرها الناس ، لا يحتاج إلى ذكرها ، لتداولها بين أهل هذا الشأن^(١) والوصف الخاص والعام لجميع الموجودات كونها قادرة ، وتعلق القادر بالمقدور : لا يعلم البتة : كشفاً ولا بالدلائل : إذ القدرة الحادثة عند مثبتها ، ممن سلم نظره في إثباتها ، لا أثر لها ، فلا تعلق لها ، فمن أين له معرفة التعلق ؟ .

وكذلك الكشف .

وما عدا هذا الوصف الخاص ، الذي به وقع الإمتنان - عند المحققين منا - بين الخلق والحق ، فمدرك بالدليل وبالكشف .

٩ - مسألة : فأول موجود ظهر : [مفيد فقير] موجود يسمى «العقل» ويسمى : «الروح الكلي» ، ويسمى «القلم» ، ويسمى : «العدل» ، ويسمى «العرش» ، ويسمى «الحق المخلوق به» ، ويسمى «الحقيقة المحمدية» ، ويسمى «روح الأرواح» ، ويسمى «الإمام المبين» ، ويسمى : «كل شيء» .

وله أسماء كثيرة باعتبار ما فيه من الوجوه .

وهو على نصف [الصورة المعلومة]^(٢) عندنا : سمعاً وكشفاً في وجه آخر : على حسب ما يقع تجليه ، لأن العالم كله على الصورة ، والإنسان من العالم على صورة العالم ، فهو على الصورة ، والروحانيات : أقوى على الكمال من عالم الأجسام ، لاستعدادهم الأكمل .

ولهذا يرغب البشر في تحصيل القوة الروحانية في الطبع ، فمنهم من وصل فأكمل ، ومنهم من لم يصل لموانع عرضية وأصلية في هذه الدار .

وأما في الدار الآخرة ، فالكل يصل إليها ، ويقع الامتياز بينهم بأمور أخر : ترجع إلى الصورة التي يدخلون فيها .

(١) وهم ما يعبر عنهم بـ «المتكلمون» .

(٢) في المخطوطة «الصورة والمعلومة» .

فلما أوجد هذا الموجود الأول : ظهر له من الوجوه إلى الحضرة الإلهية ثلاثمائة وستون وجهاً .

فأفاض الحق تعالى عليه من علمه على قدر ما أوجده عليه من الاستعداد للقبول .

فكان قبوله : ستة وأربعين ألف ألف نوع ، وستمائة ألف نوع ، وستة وخمسين ألف نوع .

فظهرت لهذا العقل أحكام بعدها لا غير ، ونشر منها في كل عالم بما يستحق : [نشر إضافة ، لا نشر اختيار] فإن وجوهه مصروفة إلى موجدته ، والعالم يستمدون من ذاته بحسب قواهم ، كقبول عالم الأكوان لنور الشمس من غير إرادة للشمس في ذلك ، وهو الفرق بين الفيض الذاتي والفيض الإرادي .

وذلك راجع لنفس المفيض .

ألا ترون إلى فيض العالم^(١) كلامه على الأسماع : إرادي ، لأن له الإمساك عنه .

فإذا ظهر عين الكلام في الوجود ففيضه على الأسماع : ذاتي لا إرادي .

فتحقق هذا ، فهو هنا كذلك .

فالجميع بين الفيضتين هكذا يكون .

فلاحظت طائفة فيض المفاض ، فقالت بالفيض الذاتي .

ولاحظت طائفة فيض المفيض ، فقالت بالفيض الإرادي .

فكل واحد يخطيء صاحبه ، والإلهية تصوب قول كل طائفة^(٢) .

ولما ظهر هذا الحق المخلوق به السماوات والأرض ، الذي هو لوح الألوهية وقلمها الأعلى باليمين الأقدس الجاري بالكائنات ، رأس عالم الأمر الرباني المخصوص بإضافة الشريف الفياض ، الذي لا يقبل حقيقة الاختيارات والأعراض ، قابل التحولات ، لكنه لا يقبل الأعراض : ليس بمادة ، ولا يقبلها ،

(١) بكسر اللام .

(٢) سيشرح هذه الكلمة بعد قليل .

صدرت عنه شريفة لطيفة أودعها بضرب من الإقبال أرواحاً تناسبها في اللطافة ، فكان الملاء الأعلى : عالم الأمر والتسخير ، ولكن بعد إيجاد النفس وتوجهها عليه بضرب من الإلتحام الإلهي ، والإقبال الرباني .

١٠ - مسألة : [وأما قبول هذا العقل]^(١) ما لا يتناهى من العلوم قبول ذاتنا : ظهر بصورة الغنى ، فأنحجب عما يجب عليه [من]^(٢) الإفتقار للحضرة الإلهية ، فإن الغنى لا يدخلها للذات التي تقتضي ذلك ، ولحكم الغيرة ، فاشتغل بالنفس اشتغال تعشق ملكي ، وسلطنته عظمى ، ومملكته كبرى .

ولهذا العقل فيض ذاتي ، وفيض إرادي .

كماله : قبول ذاتي : وقبول إرادي .

وهكذا الكل موجود ، وما من موجود من الموجودات كلها عن سبب الأول وجهان :

وجه يقابل سبباً ويأخذ عنه ، ويظهر لسببه عزة في إفتقاره إليه من ذلك الوجه .

ووجه آخر : يقابل به براءه عز وجل .

فتارة ترد عليه بالأحكام الإلهية من طريق سببه ، وعلى يديه ، وتارة يدعوه من الوجه الخاص^(٣) .

فإذا دعاه من الوجه الخاص به : لم يبق للسبب عليه سلطان ، ولا يعرف أين ذهب ، فيحكم عليه الذل والإفتقار إلى الله تعالى ، فيكون له التجلي ، فقبض النفس الله سبحانه وتعالى ، ودعاها من الوجه الخاص .

ففقدتها العقل من حيث الفيض الإرادي ، ولا يقبل الفيض الإرادي إلاّ القبول الإرادي ، فرجع العقل فقيراً إلى موجدته ، فوجد الباب قد غلق دونه من حيث الاسم الخاص به ، فوجد الاسم «القدوس» قد حكمه الحق عليه ، فدخل تحت سلطانه حتى أظهر أثره فيه ، فلما حلاه عند ذلك : خدع ودخل بعد بساط الحضرة ، وافتقر .

(١) المخطوطة «وأما قبول هذا العدل» .

(٢) ليست في المخطوطة ولا بد منها .

(٣) وهذا شرح قوله سابقاً «والإلهية تصوب قول كل طائفة» والله تعالى أعلم .

وهذا كان المراد .

ولما كان لكل موجود - مما سوى الحق تعالى - وجه إليه سبحانه : صح له أن يتصف بالفقر إذا صرف وجهه إليه بالمعنى ، إذا صرف وجهه إلى الكون ، وهو متحقق لوجه الحق منه .

ومتى غفل عن التحقق بذلك الوجه ، وشهود ذلك الغير لم يكن للمعنى إليه طريق ، وكان فقيراً محضاً .

١١ - مسألة : ومن ذلك الوجه الخفي : ظهرت الآثار عن الموجودات بأسرها : علوها وسفلها ، بسيطها ومركبها ، حيوانها ونباتها ومعدها .

ثم اختلفت أنواع التأثيرات ، فمنها أثر يقترن به عن بر ، ونية .

ومنها أثر تعطيه ذات المؤثر ، لا يقترن مع إرادة ، كتأثير الأدوية المسهلة والقابضة ، وشبه ذلك .

ومنها ما يكون أثره حسياً ونفسياً .

ومنها آثار تكون في النفس ، لقيام أثر آخر موجود فيها ، كشخص أبصر في مدرجته^(١) ديناراً ، فأعلم^(٢) أن للدينار أثراً في نفسه ، فإن تقوى ذلك الأثر : حركت النفس الجسم لأخذه ، فالحركة الأصلية للدينار ، والبواعث لذلك تنوع .

فباعث الطبع في ذلك لنفاسة جوهرية الدينار ، وخاصية الذهب .

وباعث العامة للحاجة إليه ، من غير تأمل إلى الجوهر .

وباعث الصادقين من الزهاد الورعين ، لما عليه من اسم الله . وبواعث المحققين : لهذه كلها وزيادة .

ولما كانت هذه البواعث : محلها النفس : كانت النفس في هذا الأمر هي المؤثرة في ذاتها ، لكن ، لا يظهر فيها مثل هذه الآثار إلا بوجود هذه الأعيان الخارجة .

١٢ - مسألة : وهذا الوجه الذي ذكرناه : لا يكون أثراً للألوهية ، لأنه بذلك

(١) المدرجة : الطريق .

(٢) بضم الهمزة وسكون العين .

الوجه ظهرت هذه الآثار عن الأكوان كلها في الأكوان - ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾^(١) قضاء صحيحاً ﴿والهكم آله واحد﴾^(٢) ، فلولا هذا السريان الدقيق ، والحجاب : العجيب الرقيق ، والسر الأخفى : ما عبدت الألوهية في الملائكة^(٣) والكواكب والأفلاك والأركان والحيوانات والنبات والأحجار والأناسي ، إذ الألوهية هي المعبودة من الموجودات ، فأخطئوا في الاضافة من وجه لا غير^(٤) ، ولكن كان في ذلك الوجه سعادة ، والحق تحقق ذلك الوجه ، ووقع الخطأ من جهة العقل ، لا من جهة الحكم ، فإن النظر الإلهي : كان تمكنه من هؤلاء المعبودين أكثر من غيره ، فربط الآثار بهم ، فظهرت عندهم ﴿ليضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ .

وربما رفعت طائفة عن مدرج^(٥) نسبة الألوهية لهم مطلقاً ، ولحظت الوجه الخفي ، فقالت : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ فاتخذوهم حجة ووزراء ، نعوذ بالله ، ولكن هي أشبه من الأولى ، ولورات هذه الطائفة : هذا الوجه من أنفسها : ما عبدت ألوهية في كون خارج عنها ، بل كانت تعبد نفسها .

ولكن أيضاً لتحقيقها بها ، ووقوفها مع عجزها ، وقصورها وإيلافها^(٦) : لم يتمكن لها ذلك ، ولو لاح لها ما ذكرناه ما اختصت بعبودية ألوهية في كون بعينه .

ومحصل ما قلناه : أن الألوهية هي المعبودة على الإطلاق ، لا الأكوان .

ولهذا قال تعالى : ﴿والهكم آله واحد﴾^(٧) . ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾^(٨) وقضاؤه غير مردود .

ومن وقف على هذه الوجوه الإلهية من الأكوان ، فلا يصح تعبيده كون أصلاً .

(١) سورة الإسراء : الآية : ٢٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية : ١٦٣ .

(٣) لأن قوماً عبدوا الملائكة واتخذوهم آلهة للبواعث النفسية التي ذكرها آنفاً .

(٤) فإنهم عبدوا إلهاً ، تألهوه هم وأخطئوا الإله الحق تبارك وتعالى .

(٥) المدرج : بفتح الميم وسكون الدال وفتح الراء : الطريق

(٦) لأنها ألقت ذلك .

(٧) هذا للمؤمنين ، وأما المشركون ، فعلى الضد : يعبدون آلهة كثيرة .

(٨) والخطاب هنا أيضاً موجه للمؤمنين .

ومن لم يعرفها ولا شاهدها : تعبدته وجه الحق في الكون ، لا الكون .

وبهذا القدر يعاقب ويطلق عليه اسم الشرك^(١) .

١٣ - مسألة : واعلم أنه ما من معبود إلا ويتبرأ من الذي يعبدته هنا ، من حيث لا يسمع العابد إلا بخرق العوائد ، وفي الدار الآخرة : على الكشف ، قال تعالى : ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾^(٢) وتبرؤهم منهم : أن يقولوا : ما عبدوا غيرك ، فلم تكن بمعبودين لهم : خوفاً من العقوبة ، ولكنه أضافوا^(٣) ، فيقال لهم : صدقتم ، لكنهم عبدونا فيكم على غير بصيرة صحيحة ، وإن أقتضت الحقائق ، فأخذناهم بالعمى ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾^(٤) فهم مصروفون في الدنيا والآخرة عن هذا القدر من العلم .

ثم إن أخذ الحق تعالى لهم : من باب مظالم العباد ، لافترائهم على المخلوقين بنسبة الألوهية لهم^(٥) ، فكان أخذه : عدلاً : إقامة لحق الغير ، وعقوبة للجاهل ، حيث لم يستبصر واتبع هواه ، فإن الله قد ندبنا إلى العفو فيما يرجع إلينا من الحقوق ، وألا نعفو فيما يرجع إلى حقه^(٦) وهو أولى بهذه الصفة^(٧) ، فلذلك كان الشرك من مظالم العباد ، لا من حقه الذي يرجع إليه .

والمعبودون : منهم سعيد^(٨) ومنهم شقي .

(١) هكذا هي في المخطوطة ، ولعلها «المشرك» .

(٢) سورة البقرة : الآية : ١٦٦ .

(٣) الإضافة هنا : بمعنى أنهم قرنوا مع الله شريكاً . كما كانت العرب تقول في طوافها حول الكعبة «الا شريكاً هو لك : تملكه وما ملك» فهم في زعمهم - يعبدون الله تعالى ، ولكنهم أخطأوا في العبادة ، فاتخذوا شريكاً يقربهم إليه ، كما قالوا ﴿ليقربونا إلى الله زلفى﴾ فهم ما أنكروا الألوهية ، وإنما ضلوا الطريق الصحيح إليها - والله تعالى أعلم .

(٤) سورة الإسراء : الآية : ٧٢ .

(٥) كما نسبوها للعزير ، وعيسى (عليهما الصلاة والسلام) .

(٦) يقصد الشيخ (رحمه الله تعالى) أن الله سبحانه وتعالى طلب منا أن نعفو بعضنا عن بعض قبل القصاص في الآخرة ، فلا يحارب بعضنا بعضاً ، بل نغفر ونسامح ، وأما مع المشرك الذي أشرك مع الله إلهاً آخر ، فلا .

(٧) أي ألا يغفر لهم .

(٨) السعيد كالملائكة ، وعيسى ، والعزير : (عليهم الصلاة والسلام) والشقي كالفراعنة . ومن جعل نفسه إلهاً .

فالسعيد ناج ، والمثال الذي اتخذه معبوداً على صورته^(١) : يدخل معهم النار ، ولولا قوله : ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٢) لكان في قضية ما مقال في زوال الآثار الإلهية عن عبد في الآخرة ، فإنهم ما عبدوا إلا الفاعل المؤثر .

وهنا بحور طوامس^(٣) .

١٤ - مسألة : فإن الألوهية تقتضي : أن يكون في العالم ذو بلاء وعافية ، وإلا فليس^(*) المنتقم منه من الوجود ، بأولى من ضده .

ولو نفي من الأسماء^(**) اسم لا حكم له ولا أثر : لكان ما يقتضي له الحكم معطلاً .

وهذا محال .

فالممكنات كلها : على موازنة الأسماء المؤثرة الإلهية ، وما عدى هذه الأسماء المؤثرة من أسماء الذات ، فليس بأيدينا منها شيء ، إلا ما يرجع إلى السلوب والنسوت ، وبعض أسماء الكمال ، كالبصر ، والسمع ، فلا تعلق لها بالممكنات من حيث الأثر^(٤) ، فاعلم ذلك .

١٥ - مسألة : عجبت من طائفة تعدت طورها ، وتجاوزت حدها ، فجعلت نفسها أعرف بالله من الله بنفسه ، فقالت : أعوذ بالله من التشبيه .

وقالت أخرى : أعوذ بالله من تنزيه يؤدي إلى تعطيل .

ووقفت المتعوذة من التشبيه .

(١) لأنهم اتخذوا للملائكة صوراً ولسيدنا عيسى من الأحجار وغيرها ، فالصور التي صنعوها من الأحجار : تدخل معهم النار ، ولكن ، لا للتعذيب ، وإنما لكيهم ، وتعذيبهم هم بها .

(٢) سورة الأنبياء : الآية : ٢٣ .

(٣) تظمس من دخلها : فلا يظهر له أثر .

(*) هنا كلمة لا تقرأ .

(**) في المخطوطة «من السماء» .

(٤) يعني أن السمع والبصر لا يؤثران في المخلوقات - وإنما تعلقهما تعلق إحاطة - والمؤثر من ناحية الإيجاد والإعدام ، والرزق ، والتقدير ، وغير ذلك هو : القدرة ، لا السمع والبصر ، والله تعالى أعلم .

فلو وفيت العلم حقه لتعوذت من تنزيه العبد نفسه : تعوذها من التشبيه :
[و] (١) سلمت قول القائل :

ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه فكان بلا كون ، لأنك كتته
وسلمت قول الآخر : « سبحاني » و « أنا الله » وأمثال ذلك (٢) .

هذا وإن كانت طائفة قد كفرت القائلين هذه الألفاظ ، وطائفة تأولت لهم ذلك ، كما تأولت أخبار التشبيه ، فكل منا مع من تأول أخبار التشبيه ، وما تأول هذه الألفاظ ، فإنها تعوذت من التشبيه ، ثم نزهت ، وصرفت الأخبار عما تعطيه ظواهرها ولم تعوذ من التنزيه في حق الخلق .

وحينئذ : كانت تثبت ما يليق بالحديث ، بصرف ما قالوه بما يليق بالحق عندهم ، إلى ما يناسب الكون ، إذ الألفاظ قابلات لصور المعاني ، فتقبل المعنى والاثنين فصاعداً :

وتلك الألفاظ المشتركة ، وليس التنزيه في هذه المسألة بأولى من التشبيه .

عميت البصائر عن إدراك غوامض الأسرار ، وما تعطيه الألوهية .

ثم إن العجب كل العجب من هذه الطائفة : هربت من التشبيه إلى التشبيه ، وجعلت ذلك تنزيهاً ، فضحك العقلاء لجهلهم فيما أتوا به ، فأنهم ما عدلوا من التشبيه إلا إلى ما في نفوسهم من المعاني المحدثه ، فانتقلوا من ظواهرهم إلى معانيهم المحدثه القائمة بهم ، فهربوا من التشبيه بهم إلى التشبيه بهم ، وسموا هذا العدول : تنزيهاً ، فنفوسهم نزهوا ، أن حملوها على المعاني الإلهية .

والحق شبهوا : أن حملوه على المعاني النفسية ، وما لهم قدم يجول في غير هذا .

فلو رجعوا إلى محل التحقيق إذ حرموا الكشف ، وقالوا : الحق سبحانه أثبت لنفسه هذه الأحكام في كتبه وعلى السنة رسله وسفرائه ، والذات مجهولة عند الخلق كلهم - أي لا تعلم - وهذه أحكام الذات عندنا . والجهل بالحكم

(١) ليت في المخطوطة .

(٢) لأن هؤلاء : نطقوا بهذه الألفاظ في حال غيبة : حتى عن أنفسهم .

أقرب من الجهل بالذات ، إذ لا يعرف نسبة هذا الحكم لهذه الذات المحكوم عليها به ، حتى تعرف هي في نفسها ، ولا معرفة بها ، فلا معرفة بنسبة الأحكام لها ، فكانوا لا يشبهون ولا يعينون حكم تنزيهه بعينه ، بل يسلموا علم ذلك لمن وصف بها نفسه ، وهو الله تعالى .

وقد روى عن بعض السلف^(١) أنه سئل عن معنى الاستواء على العرش ، فقال : «الاستواء معلوم ، والكيفية مجهولة ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة» .

فنحن - ومن جرى على طريقتنا من أهل العلم الذوقي المشهود - لانسلك هذا المسلك البتة^(٢) ، فإن الذات تشهد ولا تعقل ولا تزال الهوية منصحة معها ، ولذلك قال العارف «لا هو إلا هو» فأثبت الهوية بنفسها .

ولكن سلكتنا مسلكاً آخر تحتمله الألوهية لا الذات ، وتعطيه حقيقة هذا الحكم .

فهذه الأحكام كلها لها .

وهي صحيحة في نفسها .

وهكذا يقع الشهود فيها لمشاهد ، وستصل : فترى .

وقد صح في ما خرج مسلم في صحيحه من إقرار كل طائفة [في ذلك الدراية]^(٣) .

فلا بد من تجليها في صور اعتقاداتهم ، وذلك راجع إلى المدرك^(٤) ، لا إلى المدرك^(٥) فإن الحقائق لا تتبدل .

وهذا نقص لمن يخرج عن طريقتنا ، في أي حضرة تقع مشاهدة الألوهية .

(١) هو الإمام مالك (رضي الله تعالى عنه) .

(٢) يعني مسلك هؤلاء الذين تكلم عنهم أنفاً ، الذين قال عنهم «والعجب كل العجب» الخ ، لا مسلك الإمام مالك ، فقد قال أهل النحو : «الضمير يعود إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد صارف» .

والصارف هنا : أنه هو يناقشهم هم في قضيتهم تلك .

وإنما كان كلام الإمام مالك معارضاً لهم فقط ، لا مناقشاً ، والله تعالى أعلم .

(٣) هكذا هي في المخطوطة ولعلها «في تلك الدار به» .

(٤) بكر الرء .

(٥) بفتح الرء .

ولذلك سمي عالم التمثل والتبدل : «برزخاً» لكونه وسطانياً : حقائق
جسمانية ، وحقائق غير جسمانية ، فتعطى هذه الحضرة المتوسطة هذه التجليات :
تربط بها المعاني بالصورة ربطاً محققاً ، لا ينفك .

وقد أشار إلى هذا المقام بعض العارفين في حكاية أذكرها باسناد متصل إلى
السرى .

قال الجنيد : قال السرى : سمعت عليها الأسود يقول : «من أقبل على
الأشياء وهو يراها : ذهب عنه ، ومن تركها أتته» .

قلت له : كيف ذلك يا سرى ؟

قال : كان يذكر أنه يكتسب ويجهتد ، فلا يقوم بكفاية معيشتة .

قال : فقرأت هذه الآية ﴿قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم
على قلوبكم﴾^(١) ، فتركت الكسب : متوكلاً على الله بالكفاية ، فلو ضربت بيدي
إلى هذه الاسطوانة لصارت ذهباً ، وضرب يده على الاسطوانة فإذا هي تلوح
ذهباً .

ثم قال : يا سرى : الأعيان لا تنقلب ، ولكنك هكذا تراه بحقيقتك بربك .

فانظر في قوله «هكذا تراه» يعني الحق .

وهكذا تراه : «يعني المرئى» أي الرؤية عائدة على الرائي ، يعني الصورة
المشهودة للرائي .

ومن هذا أيضاً زلت أقدام طائفة عن مجرى التحقيق ، فقالوا : ما ثم إلا
من ترى : فجعلت العالم هو الله ، والله هو نفس العالم ، ليس أمراً آخر^(٢) .

وسببه : هذا المشهد ، لكونهم ما تحققوا به تحقق أهله .

فلو تحققوا به : ما قالوا بذلك ، وأثبتوا كل حقيقة في موطنها : علماً
وكشفاً .

(١) سورة الأنعام : الآية : ٤٦ .

(٢) وهم القائلون بوحدة الوجود من اليهود والنصارى ومن لف لفهم . ومن هذه الكلمة تعرف أنه لا
يقول بوحدة الوجود كما أدعى قوم وافتروا عليه .

فأترك تأويل الأخبار الواردة بالتشبيه لمن وصف بها نفسه ، إذا لم تكن من أهل هذا الكشف^(١) والتحقيق ، ولا تحمله عليك أصلاً . فإنك تبطل أصلك حيث تعتقد نفس التشبيه ، وما زلت^(٢) منه ، ولكن تسركت التشبيه بالمخلوق المركب ، وأثبتته بالمخلوق المعقول ، وأني للممكن أن يجتمع مع الواجب بالذات^(٣) في حكم أبداً .

١٦ - مسألة : المدرك^(٤) ، والمدرك^(٥) كلاماً على ضربين : مدرك بعلم وله قوة التخيل ، فيمسك صور المرئيات .

ومدرك بعلم فقط ، وليس له قوة التخيل ، إذ ليس جسماً ولا في جسم .

والمدرك^(٦) على ضربين : مدرك مقيد بصورة ، فهذا يتخيله من له قوة التخيل ، ويعلمه من ليس له قوة التخيل فلا يقوم به منه صورة ، لأن حقيقة تأبي ذلك .

ومدرك لا يمكن أن يتخيل ، لأنه لا صورة له ، ولكن يعلم فقط .

وكل مفطور على العلم الذي يعطي كسب العلوم : على ضربين :

ضرب ظهرت حياته للحس بالعادة ، فيتخيل ولا يكسب علماً من طريق فكر .

وضرب : بطنت حياته عن الحس بالعادة ، فلا يتخيل البتة ، وما في الوجود سوى ما ذكرناه .

فالوجود كله : حي ناطق بتعظيم الحق سبحانه ، لكن يختلف نطقهم باختلاف حقائقهم .

قال الله تعالى : ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن﴾^(٧) ،

(١) المقصود بالكشف هنا : كشف محجبات الحقائق ، لا كشف الصوفية المعروف والله تعالى أعلم .

(٢) بضم الزاي وسكون اللام .

(٣) سبحانه وتعالى .

(٤) يكسر الراء .

(٥) بفتح الراء .

(٦) بفتح الراء .

(٧) سورة الإسراء : الآية : ٤٤ .

فقوله : ﴿ومن فيهن﴾ ردّ على من يقول بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، كأنه يقول : أهل السموات السبع وأهل الأرض ، فنفى هذا الإحتمال بقوله : ﴿ومن فيهن﴾ إذ قد ورد مثل ذلك في قوله : ﴿وأسأل القرية التي كنا فيها والعير﴾^(١) وليس هذا كذلك .

وقوله (ع) في أحد : «هذا جبل يحبنا ونحبه»^(٢) .

وقوله : «يشهد للمؤذن : مد صوته ، من رطب ويابس»^(٣) . وقوله : «ما من دابة إلا هي مصيخة يوم الجمعة شفقاً من الساعة»^(٤) .

وهذه أمور كلها تقتضي العلم ، وهو مشروط بالحياة ، لكن - كما قلنا - بما ظهر منا للحس وما لم يظهر ، فما لم يظهر بالعادة : ظهر بخرق العادة للنبي والولي .

فالكل : حي ناطق بتسبيح الله وحمده ﴿لكن لا تفقهون﴾ أي لا تعلمون تسبيحهم ﴿إنه كان حليماً﴾ بإهمال من تأول هذا القول ، وصرفه إلى غير وجهه ، ولم يأخذ به ﴿غفوراً﴾ بستره :

نطق هذه الاحناف من الإدراك السمعي .

١٧ - مسألة : العلم ليس تصور المعلوم ، ولا هو المعنى الذي يتصور

(١) سور يوسف ؛ الآية : ٨٢ .

(٢) رواه البخاري عن سهل بن سعد ، والترمذي عن أنس ، وأحمد والطبراني والضياء المقدسي : عن سويد بن عامر . والطبراني في الأوسط عن أنس وعن أبي عبيد بن جبير .

(٣) قال رسول الله (ص) : «المؤذن يغفر له : مد صوته ، ويشهد له كل رطب ويابس ، وشاهد الصلاة يكتب له خمس وعشرون صلاة ، ويكفر عنه ما بينهما» رواه عبد الرزاق ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان ، وأبو الشيخ في «الأذانه» والبيهقي في شعب الإيمان .

(٤) قال (ص) : «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه قبض ، وفيه تقوم الساعة : ما على الأرض من دابة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة حتى تطلع الشمس : شفقاً من الساعة ، إلا الجن والإنس ، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه» .

رواه مالك ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان ، والبخاري ، والباوردي ، وابن نافع ، والحاكم .

المعلوم ، فإن ما كل معلوم يتصور ، ولا كل عالم يتصور ، فإن العالم إذا تصور الأشياء التي من حقيقتها أن تتصور ، فليس يتصورها من كونه عالماً فقط ، بل من كونه متخيلاً ، وفي قوة المتصور ، فمن ليست له هذه القوة : لا يتصور ما يمكن أن يتصور ، فليس بتصورها ، ولكن يدرك .

ولا كل معلوم يتصور ، فإنه من حقيقة : أن يقبل الصورة ، فلا يتصور ، ولكن يعلم ، فالعلم ليس التصور على هذه ، وهو الصحيح .

١٨ - مسألة : ليس للمخلوق قدرة أصلاً - عندنا وعند المحققين منّا - إذ لا فاعل إلا الله تعالى ، خالق الأفعال الظاهرة في العين على أيدي الخلق وغيرها .
وذلك أنه ما استدللنا على أن كون الباري قادراً إلا بوجود الأثر عن هذا الحكم .

ولم يوجد أثر لمخلوق عقلاً .

فمن أين تثبت القدرة الحادثة مع انتفاء الأثر حقيقة .

١٩ - مسألة : لا حاجة لنا في إقامة الدليل على إثبات الوحدانية ، فإن المشاهد تمنع الجدل في الله ، وفي وحدانيته .

ولكن قد يُقال للمشرك : نحن وإياك مجمعون على واحد ، وأنت زدت عليه^(١) ، فما الدليل على إثبات الزائد ؟ .

فهو يتكلف طلب الدليل لا نحن .

٢٠ - مسألة : كون الباري حياً ، قادراً ، عالماً ، إلى غير ذلك من أوصاف الكمال عندنا : أحكام للذات ، أضيفت ، وسلوب صحيحة ، وصف بها ، لا ترجع إلى أعيان زائدة على الذات ، [لأنه كامل الذات] فمحال : كماله بالزائد ، فإن فيه نقص الذات ، فلها تعلقات متعددة ، تتبع المتعلقات : حكماً فهي عالمة بكذا ، وقادرة لكذا ، ومريدة لكذا ، وهكذا جميع ما ينسب إليها من أحكام الصفات .

٢١ - مسألة : الصفات الذاتية للموصوفين ، هي عينها ، فهي مقدورة ، فإن

(١) لأن المشرك : لم ينف وجود الله ، وإنما جعل له شريكاً : سبحانه وتعالى عن الشريك والمثيل .

كانت أحكاماً تابعة للموصوف ، لا عين الموصوف ولا غير الموصوف ، ولا معدومة ولا موجودة لكن معلومة ، فليست بمقدورة ، كالتحيز للجوهر ، وقبوله للأعراض ، والتأليف للجسم ، والطول ، والعرض ، والعمق له ، ومثل ذلك .

٢٢ - مسألة : الأعيان من حيث الجوهرية : لا تنعدم بعد وجودها أبداً .

والصور والأشكال والمقادير ، والأكوان والألوان : أعراض في عين الجوهر ، وهي التي تخلع على الجوهر على الدوام .

ولهذا لا تزال فقيرة على الدوام .

والباري : خلق على الدوام ، فالكون من حيث الجوهر : لا يفنى ولا يتبدل من حيث الصورة ، كما ذكرناه .

٢٣ - مسألة : ليس العالم مع الباري في وجوده ، ولا بينهما بون يقدر ، بل هو [إرتباط ممكن بواجب]^(١) ومخلوق بخالق^(٢) ، فهو في الدرجة الثانية من الوجود ، والباري في الدرجة الأولى ، وليس بينهما رتبة .

مثاله - والله المثل الأعلى - الحيزان المتجاوران للجوهريين : ليس واحد منهما في درجة الآخر ، ولا بينهما حيز .

فيمكن بهذه النسبة أن يكون الأوساط على التقريب ، إذا العبارة لا تسع أكثر من هذا في هذه المسألة .

وهذا مذهب ثابت : لاح بين القدماء ، والأشاعرة .

فانتفى القدم عن العالم في هذا المذهب ، ولا يقول به القدماء .

وانتفى التقدير الوهمي الذي يقدره الأشاعرة بين الحق والخلق .

وثبت الحدوث والافتقار .

وثبت وجود الباري .

(١ ، ٢) «إرتباط» مضاف ، و«ممكن» مضاف إليه ، أو كما نقول : إرتباط مخلوق بخالق : لا بد أن يكون بينهما إرتباط دائم ، فإن المخلوق محتاج إلى الخالق دائماً في كل تصرفاته : صغيرها وكبيرها .

والممكن هو المخلوق . والواجب هو الخالق . والله تعالى أعلم .

٢٤ - مسألة : العرض يتقدم لنفسه في الزمان اشاني من زمان وجوده ، فكان الحق خالقاً على الدوام .

وصحح الإفتقار من الجوهر على الدوام ، ولو بقي العرض لارتفع هذان الحكمان .

فارتفاعهما محال .

فبقاء العرض زمانين محال .

وهذا من باب الحقيقة الكشفية ، والسياق النظري^(١) : أن الفاعل لا يفعل العدم ، والضد لا يعدمه ، لأنه لا يجتمع معه ، ولأن الضد معدوم : إنعدام الشرط لا يعدمه ، لأن الكلام فيه كالكلام في العرض الذي أنعدم .

فلهذا قلنا : ينعدم لنفسه ، ويستحيل بقاءه .

٢٥ - مسألة : الحق تعالى : يشهد من كل وجه ويرى ، إلا من وجه الفعل^(٢) لرفع المناسبة ، لأنه خاص بالذات ، ليس فيها منه شيء ، بخلاف : العلم ، والإرادة ، وغير ذلك من الأسماء ، لأن حقيقة المشاهدة^(٣) من حيث نحن ، لا من حيث هو .

٢٦ - مسألة : لا يمكن - عندنا - معرفة حال من أحوال ما تقتضيه ذات ما [لا يعد معرفة تلك الذات] حتى تعرف كيف ينسب إليها ذلك الحكم .

وذاات الحق تعالى : لا تعلم عندنا ، فالأحكام التي تنسب إليها : لا يعلم وجه النسبة إليها أصلاً ، كالمعية ، والإستواء ، والنزول ، والضحك ، والتبشيش ، واليد ، والعين ، وكل ما حكم على نفسه به^(٤) .

وعلى هذا المنوال حقيقة الإنسان وما ينسب إليها .

ولهذا قال (ع) : : «من عرف نفسه عرف ربه» .

(١) يعني : الحقيقة التي كشفناها لكم أيها الفلاسفة ، والنظريون .

(٢) فإنه لا يرى .

(٣) وقد قال في غير هذا الموضع ما معناه : أن الذي يشاهد ذا الجلال يوم القيامة إنما يشاهد الصورة المطبوعة في نفسه هو : أي الرائي .

(٤) وكل هذه الألفاظ وردت في القرآن والسنة .

والنفس بحر لا ساحل له ، فأحالنا في المعرفة علينا^(١) ، فلما دخلنا بحر معرفتنا بنا غرقنا ، وما برحنا نقاسي أمواج بحره فكراً وكشفنا^(٢) إلى أن عرفنا أن : معرفتنا بنا : بحر لا ساحل له ينتهي إليه فينتقل إلى معرفة الربوبية^(٣) .

فبنا نتكلم ، وعلىنا نحوم ، وما يبدو لنا سوانا .

فنحن حجاب العزة الأحمى على الرب : يجل ويتعالى أن يدركه خلقه على كنه ما يدرك نفسه .

بل المخلوق قاصر عن أدراك نفسه^(٤) ، فكيف له بالظفر بإدراك منشئه ، من حيث هو منشيء له .

فأحرى - من حيث ذاته تعالى وتقدس علواً كبيراً - لا يعرفه على حقه عارف ، ولا يصفه واصف .

٢٧ - مسألة : الدليل الواضح على إثبات إله واحد ، ونفي إلهين .

لم يدل دليل قط على نفي قدمين^(٥) فصاعداً ، ولا على إثبات ذلك ، بل على الجواز^(٦) إلا أن يرد السمع^(٧) بإثبات ذلك أو نفيه ، فلا إله إلا هو : إله واحد سبحانه وتعالى عما يشركون .

٢٨ - مسألة : القدم المنسوب إلى الباري تعالى : سلب الأولية التي ثبوتها عن عدم^(٨) : لا الأولية الوجودية التي سمي بها نفسه في قوله - هو الأول .

(١) فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعرف نفسه المركبة في جسم ، ولها حيز ولون وهيئة وشكل ، فكيف يعرف الله تعالى ؟ .

(٢) في المخطوطة «سحه فكره وكشفاه بدون نقط ، وهو تحريف .

(٣) فإذا كنت عاجزاً عن معرفة كنه نفسك ، فأنت عن معرفة كنه ربك أعجز .

(٤) في المخطوطة «بل الخلق قاصرة عن أدراك نفسه وهو تحريف .

(٥) بكسر القاف وفتح الدال .

(٦) يقصد أنهم بنوا نظرياتهم على أنهم قالوا : يجوز .

(٧) يقصد أننا لسنا مطالبين بنرياتهم هذه ، وإنما نحن مطالبون بسماع القرآن والسنة وما ورد

فيهما ، وهو الذي نقبله فقط ، فإذا ورد شيء في القرآن الكريم والسنة المطهرة قبلناه بلا مناقشة ، ومالاً ، فلا .

(٨) يعني أنه أول : لم يسبقه عدم ، لأن القدم الذي يسبقه عدم هو للمخلوق ، ومهما كان المخلوق قديماً في الزمن فهو محدث : أحدثه الله تبارك وتعالى .

٢٩ - مسألة : البقاء استمرار الوجود لا غير ، لا عين صفة ، فتبقى ،
فتحتاج إلى بقاء ، فالذي يبقى به البقاء : به يبقى الباقي المنعوت بكونه باقياً ،
وهو ما ذكرناه ، فإن كان الباقي لا يتقيد ، فاستمرار وجوده لا غير .

٣٠ - مسألة : الكلام على حسب من ينسب إليه ، فليس ثم حد يجمعه ،
فمعرفة نسبته إلى الباري موقوفة على معرفة ذاته ، كما قد قررناه .
وكذلك سائر ما نعت به وسمى .

٣١ - مسألة : وحدانية الكلام حقيقة ، فالتجلي من كونه متكلماً : واحد ،
والمتجلي إليه مختلف ومتنوع : مقيد بالوقت والمكان ، وقد يتقيد بالإله ، فينقسم
إلى الأوامر ، والنواهي ، والأخبار ، وغير ذلك من أقسام الكلام اللفظي ؛
الموقوف على الصيغ والعبارات .

٣٢ - مسألة : الأسماء للذات : أحكام ترجع إليه من المحدثات : ما علم
منها وما لم يعلم ، مما يصح أن يعلم ، فثم اسم يدل على عين الذات لا يقاع
تميز السامع في العبارة يسمى : [مشتقاً]^(١) أو جامداً .

وهذا الاسم لولا نحن ما أطلق عليه ، وصم اسم يعقل منه معنى زائد على
عين الذات .

وهل يدل على عين الذات أم لا ؟ فيه توقف بالنظر إلى العقل .
وإن دل على عين ، فهل هو عين الذات المقول عليها هذا الاسم ، أم
ذات زائدة ؟ .

فذهبت طائفة : إلى أنه عين الذات ، وهم القدماء .
وذهبت طائفة إلى ذات زائدة ، وهم الأشاعرة ، كقولنا : عالم ، وقادر ،
ومريد ، وحي ، وسميع ، وبصير ، وغير ذلك .
وثم اسم يعقل منه إضافة : لا عين ، كالأول ، والآخر ، والباطن ،
والظاهر .

(١) في المخطوطة «مرتجلاً» ، ولا معنى لها ، والذي أثبتناه يدل عليه كلمة «جامد» فالاسم إما
مشتق أو جامد ، واسم «الله» الذي لا يشتق منه هو «الله» وأما الرَّحْمَنُ والرَّحِيمُ والخالقُ
والبارئ ، وما إلى ذلك من بقية الأسماء ، فاسماء صفات يشتق منها ، والله تعالى أعلم .

وثم اسم يعقل منه : سلب ما لا يليق بالاسماء ، كالقديم والقدوس .

ومع هذا كله ، فمننا تعلقها : لا منه ، فهي أسماء حمد : لا أسماء تحقيق .

٣٣ - مسألة : الاسم قد يرد ، ويراد به المسمى ، ويرد ويراد به : اللفظ الدال على المسمى .

فالاخلاف في هذه المسألة : لفظي لا غير . ليس بأيدينا - على الحقيقة - من الحق تعالى إلاّ أسماؤه : لا يعقل منه غيرها .

وبهذه التسمية : نسميه معروفاً ومعلوماً . ونسمي أنفسنا : علماء وعارفين .

ولهذا لا يقع التسبيح والتقديس إلاّ على الاسم .

فقال تعالى : ﴿سبح اسم ربك﴾ فحقق هذا الفصل أيها الناظر .

٣٤ - مسألة : الحمد هو : الثناء على الله بما هو أهله .

والشكر : الثناء على الله بما يكون منه من النعم .

ولا يكون الثناء على الله أبداً إلاّ مقيداً : إما بالنطق ، وإما بالمعنى الباعث على الحمد .

وقد يرد في النطق : مطلقاً ومقيداً ، مثل قوله تعالى في المطلق اللفظي : ﴿قل الحمد لله﴾^(١) .

وأما المقيد فتارة يقيده بصفة ، كقوله تعالى : ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾^(٢) ، وقوله : ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض﴾^(٣) ، وما خرج حمد من محامد الكتب المنزلة من عنده عن هذا التقسيم .

٣٥ - مسألة : خلق الله الخلق : ليكمل مراتب الوجود ، ولتكمل المعرفة في الوجود - أي ليكمل وجود تقاسيم المعرفة - فخلق الخلق ليعرفوه ، إذ كان : كثيراً لا يعرف ، كما ورد في بعض الأخبار المشهورة^(٤) لا ليكمل سبحانه في

(١) سورة الإسراء : الآية : ١١١ .

(٢) أول سورة الكهف .

(٣) أول سورة الأنعام .

(٤) لعله يقصد الحديث القدسي المعروف : «كنت كنزاً مخيئاً ، فأردت أن أعرف ، فخلقت الخلق ، فبي عرفوني» .

ذاته : تعالى الله عن ذلك ، فكان يعرف نفسه بنفسه ، فبقي من مراتب المعرفة : أن يعرفه الكون ، فتكمل المعرفة ، فأوجد الخلق ، وأمرهم بالعلم به . وكذلك الوجود : ينقسم إلى قديم ومحدث (*) .

فلو لم يخلق الكون : ما كملت مراتب الوجود . فافهم .

٣٦ - مسألة : اسم البخل على الله تعالى : محال ، فلو أدخر شيئاً من الممكنات : لم يكن اسم الجود عليه فيما أعطى بأولى من اسم البخل عليه فيما أمسك .

فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم : من حيث حصر الأجناس ، فليس في الإمكان زائد .

ومن حيث أنه نصب العالم : دليلاً على العلم ، فلا بد أن يكون الدليل كامل الأركان ، فما أبقي شيئاً إلا الأمثال ، فالمثل عين المثل في حقيقته .

٣٧ - مسألة : ليس ثم أعلى من الكشف ، ولا أدنى من الحجاب ، فالكشف غاية المطالب ، وهو : الرؤية .

والحجاب أعظم الحرمان ، وهو : عدم الرؤية .

وقد ظهر الحكماء في العالم ، فليس في الإمكان^(١) أبدع من هذا العالم : لحصره بين التجلي والحجاب .

٣٨ - مسألة : الأفراد في هذه الأمة : هم الخارجون عن دائرة القطب ، وهم الذين هم على بيته من ربه ويتلوه شاهد منه ﴿ وهم في هذه الأمة بمنزلة الأنبياء في الأمم الخالية : الذين كانوا على شريعة من ربهم في أنفسهم .

ليسوا برسل ، ولا متبعين إلا لما يوحى الحق إليهم سبحانه وتعالى ، وينظر إليهم : الاسم المفرد ، بإنفراده عن الأسماء .

(*) فالقديم هو وجود الله تعالى ، والمحدث هو وجود الكون .

(١) ومن معانيه ليس في الإمكان أبدع مما كان، إن الله تبارك وتعالى : أراد خلق العالم على هذا الوضع ، وإن كان سبحانه وتعالى من الممكن له أن يخلق : أجمل وأكمل منه - لا يعجزه شيء سبحانه وتعالى - إلا أنه لا يمكن أن يخالف نفسه فيخلق خلقاً على خلاف ما أراد وقضى ، فلا يناقض نفسه بنفسه .

والقطب من الأفراد ، وله مزية التقدم بالنظر في العالم ، بخلاف سائر الأفراد .

وأخبرت عن عبد القادر الجيلاني ببغداد : أنه قال في الشيخ محمد الأواني : أنه من الأفراد : وهم أعيان الأولياء .

٣٩ - مسألة : المختار هو الذي يفعل أمراً ما إن شاء ، ويتركه إن شاء .

وسبق العلم بالفعل ، وبالترك : بحيل وقوع ما لم يسبق به العلم ، فلاختيار محال .

والمضطر هو : المجبور على الأمر ، ولا جبر ، فلا اضطرار ، ولا اختيار^(١) .

تحقق أيها الناظر هذه المسألة : تنتفع إن شاء الله .

٤٠ - مسألة : الاختراع : حصول المخترع في النفس أولاً ، ثم بالفعل .

ولم يحصل في النفس شيء لم يكن فيها ، فلا اختراع^(٢) .

لكن عدم المثل في ظهور العين ابتداء : سماء اختراعاً ، وليس على حقيقة الاختراع .

٤١ - مسألة : إذا كان الإتحاد يصير الذاتين ذاتاً واحدة ، فهو محال ، لأنه إن كان عين كل واحد منهما موجوداً في حال الاتحاد ، فهما ذاتان ، فإن عدت العين الواحدة ، وبقيت الأخرى ، فليس إلا واحد ، فإن كان الاتحاد بمنزلة ظهور الواحد في مراقب العدد ، فيظهر العدد ، فقد يصح الاتحاد من هذا الوجه ، ويكون الدليل مخالفاً للحس ، فيكون له وجهان ، كالكتابة عن حركة يد الكاتب حساً ، وبالدليل : أن الله خالقها ، وأنها أثر القدرة القديمة^(٣) ، لا المحدث^(٤) .

(١) ولأن الله تعالى - على الحقيقة - لا يتصف بما يتصف به المخلوقون .

(٢) هذه من دقائق المعرفة بالله ، لأن الإنسان مثلاً إذا أراد أن يفعل شيئاً ، وجد في فكره أو لا ، ثم ينفذ أو لا ينفذ ، وهذه من صفة المخلوقين ، لأن وجود الشيء في النفس يسبقه عدم ، ثم يوجد ، ثم يحدد الموقف : ينفذ أو لا ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿بديع السماوات والأرض﴾ أي مبدعهما على غير مثال سبق ولا فكر ولا شيء مما يفعل الخلق ، تعالى الله عن ذلك ، والله تبارك وتعالى أعلم .

(٣) قدرة الله تعالى .

(٤) قدرة المخلوق .

فالوقوف على هذا القدر من المعرفة بطريق الكشف والشهود ، لا من طريق النظر : يسمى : إتحاداً .

وقد يكون الاتحاد - عندنا - عن حصول العبد في مقام الإنفعال عنه بهمته ، وتوجه إرادته ، لا بمباشرة ولا معالجة ، فلظهوره بصفة هي للحق تعالى حقيقة : يسمى إتحاداً ، لظهور حق في صورة عبد ، ولظهور عبد في صورة حق .

وقد يطلق الاتحاد - في طريقنا - لتداخل الحق في الأوصاف والخلق ، فوصفنا بأوصاف الكمال من : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، وجميع الأسماء كلها ، وهي له^(١) .

ووصف نفسه بأوصاف ما هو لنا من : الصورة ، والعين ، واليد ، والرجل ، والذراع ، والضحك ، والنسيان ، والتعجب ، ولتبشيش ، وأمثال ذلك مما هو لنا^(٢) .

فلما ظهر تداخل هذه الأوصاف بيننا وبينه ، سمينا ذلك اتحاداً ، لظهورنا به ، وظهوره بنا ، فيصح على هذا قول القائل :

«أنا من أهوى ومن أهوى أنا»

٤٢ - مسألة : «ليس كمثله شيء» وهو السميع البصير ﴿ - المماثلة : عقلية ولغوية - زيد مثل عمرو في الإنسانية ، لاشتراكهما في صفات النفس .

هذه المماثلة العقلية ، وليس عليها «ليس كمثله شيء» لا بزيادة الكاف [وهو] ومخرج بعيد : على تقدير فرض المثل - لا على وجوده - فالمماثلة أذن في الآية : اللغوية ، وهو الصحيح : زيد كالأسد ، وعمرو كالبحر : أي زيد مثل الأسد وشجاعته ، وعمرو كالبحر جوداً وبراً وإساعاً «نوره كمشكاة» فانظر .

٤٣ - مسألة : العلوم المكتسبة ليس إلا نسبة حكم لمحكوم عليه : بنفي أو إثبات .

وليس شيء من المفردات مكتسباً .

(١) أي له حقيقة ، وليس لنا منها إلا الاسم .

(٢) أي لنا حقيقة .

وأعني بالاكتساب ما حصل بالنظر .

فإذا نسبت الإكتساب إلى التصور : الذي هو معرفة المفرد ، فليس ذلك إلا في اللفظ ، لا من جهة المعنى .

وإنما يسمع لفظاً يدل على معنى : ذلك المعنى عنده معلوم : إما حساً ، أو بديهية .

لكن لا يعرف أن ذلك اللفظ وضع له ، فلهذا يسأل عنه ، فيكتسب : أن ذلك اللفظ موضوع لذلك المعنى المعلوم عنده ، ليس إلا .

٤٤ - مسألة : المعلومات منحصرة في : حس : ظاهر وباطن ، وبديهية ، وما تركيب من ذلك عقلاً : إن كان معنى ، وخيالاً : إن كان صورة .

وقد يسمى الباطن إدراكاً نفسياً ، وهو العلم بالألام وشبهها .

فالخيال : لا يركب أبداً إلا في الصور خاصة .

والعقل : يعقل ما يركب الخيال .

وليس في قوة الخيال : أن يصور بعين ما يركبه العقل .

وإن وقعت الصور في المعاني ، فليس إلا على تقدير : أن لو كان صور الكاتب على هذه الصور ، كالعلم في صورة اللبن ، والدين في صورة القيد ، وسورة البقرة لها لسان وعينان تشهد لقارئها ، والأعمال في صورة شاب حسن : إذا كانت صالحة^(١) .

وليس في هذه المرتبة المال الذي تأخذ منه الزكاة حظها ، فيكون شجاعاً أقرع له زبيبتان .

فلو كان عين المنع : كان ما ألحقنا بهذا الباب ، بل الطف ، لأنه عدم من حيث هو منع ، وإنما هو عين المال ، وقد أشترك مع الشجاع في الجوهر .

فهو : خلع صورة كان الجوهر حاملاً لها ، وللناس صورة الشجاع .

(١) كل هذا وردت به أحاديث صحيحة ، وستكون يوم القيامة إن شاء الله تعالى ، وقد أخرج الحافظ السيوطي (رحمه الله تعالى) جزءاً في هذه الأحاديث اسمه «المعاني الدقيقة في ادراك الحقيقة» طبعناه والحمد لله على فضله ومنه .

٤٥ - مسألة : النظر في الأشياء من حيث ذواتها ، من غير نظر إلى كمال أو نقصان ، أو ملائمة طبع ، أو منافرة ، أو غرر ، أو وضع : لا حسنة ولا قبيحة ، ولا محمودة ، ولا مذمومة .

والحسن والقبيح ، والحمد ، والذم : أوصاف وضعية ، وضعها : شرع وطبع ، بحكم ملائمته أو منافرته ، ومناظرته ، وكمال أو نقص : لا غير .
ثم هي بالنظر إلى فاعلها - من حيث استنادها إليه - حسنة كلها : أدباً إلهياً .

فانظر كيف تنظر في هذه المسألة : يزل عنك الخلاف المشهور فيها .

ومن هذا الباب عندنا : الشريف والوضيع .

٤٦ - مسألة : لا يلزم للراضي بالقضاء أن يرضى بالكفر والمعاصي والمخالفات ، فإنها كلها مقضية : ما هي عين القضاء .

والشارع أمرنا بالرضى بالقضاء ، لا بامقضي ، وهو اختيار الحق^(١) تعالى : لا مختاره^(٢) .

وليس لك أن تقول : رضيت بما قضى الله لي من المخالفات ، فإن «ما» هنا : هي عين المقضي .

إلا أن تجعل «ما» زائدة فحينئذ يجوز لك ذلك .

٤٧ - مسألة : قال^(٣) : يلزم من وجود الصفات المتعلقة : وجود المتعلق ، كوجود القدرة أزلاً وتعلقها : إنما هو الإيجاد ، ولا يصح أن يكون الإيجاد أزلاً ، وكذلك العلم : لا يلزم من وجوده أن يكون متعلقاً لحقائق المعلومات ، بل له

(١) الاختيار : أخذ شيء من أشياء .

(٢) المختار : المحبوب ، والمقصود : أن القضاء - أي قضاء كان : حلواً أو مرأ - جميلاً أو خيئاً - لحكمة يعلمها هو .

فإن الله تعالى : لا يرضى لعباده الكفر ، ولكنه وقع من كثير من الناس . فهل الذين كفروا : كفروا به وهو مكروه ؟ كلا . . . ولكنه وقع ، وقد خلق جنة وناراً وأرسل رسلاً وأنزل كتباً ، وحذر وأنذر ، فلا عذر لأحد ، ولا يقع في ملكه شيء ، لا يريده ، والله سبحانه يعصمنا من الزلل ، لأن مزنة القدم في هذه المسألة إلى الهاوية .

(٣) أي الشيخ (رحمه الله) .

صلاحية التعلق .

فالعلم - عندنا - المحدث واحد ، لا أقول : إن لكل معلوم علماً ، فإني لا أشرط فيه التعلق بكل المعلومات ، وإنما هو معنى فيه صلاحية التعلق .

فإذا نسب إلى الحق : نسب إليه الحق متعلقاً بما لا يتناهى من المعلومات : حذراً من أن يقوم به جهل بما يصح أن يعلم ، وذلك على الله محال .

وقلنا بوحدانيتها : إذا لو كان لكل معلوم علماً - والمعلومات لا نهاية لها وهو عالم بها - فكان يقوم به علوم لا نهاية لها .

ودخول ما لا نهاية له في الوجود : محال ، فوجود علوم لا نهاية لها : محال .

ولما ذكرناه : جوز الإمام أبو عمرو [السلالقي الأشعري] (رحمه الله تعالى) العلم المحدث بما لا نهاية له : حدثني بذلك بعض أصحابه ممن قرأ عليه : عنه ، وهو صحيح عندنا نرتضيه ، وإن اختلف ما حدثني دركه ، فالمدلول واحد ، ولا يعترض علينا بالنوم ، والغفلة ، والذهول ، فإن تلك أمور بدنية طبيعية لصور الآلات ، ليس محلها اللطيفة الإنسانية ، فهي العالمة : نام الجسم أو استيقظ ، وليس يحصرها عالم واحد ، فلها العوالم كلها : حسيها ، وخياليها ، وعقليها : ملكها وملكوتها ، [فحيث ما سار بها الحق^(١) سارت] وحيث ما أوقفها وقفت .

ولا يخلو عن تعلقها بمعلوم حيث كانت ، ومهما علمت ما لم تكن به عالمة ، فليس ذلك راجع لتجدد علم فيها ، وإنما تجدد التعلق بالمعلوم ، لظهور العلوم حساً كان أو غير حس ، فأدركته بالعلم الذي أتصفت به قبل ظهور ذلك المعلوم .

وكذلك الإرادة سواء .

وكلامنا في هذا كله : إنما هو في الصفات المحدثثة المخلوقة .

وأما علم الله وصفاته المتعلقة ، فقد وافقنا على ذلك العقلاء ، إلا شذمة قليلة ، وهي المعتزلة ، ولا اعتبار لها عندنا .

(١) في المخطوطة «فحيث ما ساد به الحق سارت» ولا توافقها الضمائر التي ستأتي بعد .

٤٨ - مسألة : للعقل نور ، ولالإيمان نور ، فبنور العقل تصل إلى معرفة وجود الله تعالى ، وكونه : قادراً سميعاً ، بصيراً ، عالماً ، إلى غير ذلك مما يجب للالوهية ، وما يجوز عليها ، وما يستحيل .

وبنور الإيمان : يعرف ذات الحق ، وما وصف نفسه به مما يقتضي التشبيه والتنزيه : فيأخذها مشاهدة ، وهذه درجة الأنبياء والأولياء .

كما أن للعقل ولالإيمان حداً .

فحد العقل : يوصله إلى التدبير في أسبابه ، ومصالح وجوده ، بحسب ما يقتضيه نظره من العادة .

وحد الإيمان : خروق العادة عنده لتخرق العادات له ، فيجد اللذة في العذاب ، والألم في النعيم ، وشبهه .

وعلى حد العقل : تجري أمور العقلاء من الخلق .

وعلى حد الإيمان : تجري أمور بعض المنتمين إلى الله تعالى أصحاب الأحوال والأوامر الإلهية والخواطر المستقيمة الربانية

٤٩ - مسألة : توجه الذات على جميع الممكنات يسمى : إلهاً لمعنى يسمى : ألوهية ، وتعلقها بنفسها ، ولجميع حقائق المحققات : على ما المحقق عليه : وجوداً كان المحقق أو عدماً : يسمى علماً .

وتعلقها بالممكنات من حيث ما هي الممكنات عليه : يسمى اختياراً .

وتعلقها بالممكن من حيث سبق العلم قبل كون الكون : يسمى مشيئة .

وتعلقها بتخصيص أحد الجائزين^(١) للممكن على التعيين يسمى : إرادة .

وتعلقها بإيجاد الكون : يسمى قدرة .

وتعلقها بأحكام قبل وقوعها : يسمى : قضاء .

وتعلقها بوقت وقوع الحكم ، يسمى : قدراً .

وتعلقها باسماع المكون لكونه : يسمى أمراً .

(١) الإيجاد أو عدم الإيجاد .

وهو على نوعين : بواسطة وبلا واسطة .

فبايقاع الوسائط : لا بد من الأمثال ، فيكون الكون ، ولا يلزم الكون بالواسطة ولا بد ، ولا هو أمر في عين الحقيقة ، إذ لا يقف للأمر الإلهي شيء .

وتعلقها باستماع المكون : لصرفه عن كونه ، أو كون صادر منه : يسمى نهياً ، وصورته صورة الأمر في التقسيم من الوسطة وتركها .

وتعلقها بتحصيل ما هي عليه [هي أو غيرها] من الكائنات ، أو ما في النفس : في نفس المكون : يسمى اختياراً .

فإن تعلق بالمكون على طريق أي شيء عندك : يسمى استفهاماً .

فإن تعلق به على جهة النزول إليه : تعلق الأمر . يسمى : دعاء .

ومن باب تعلق الأمر إلى هذا : يسمى كلاماً .

وتعلقها بالكلام من غير اشتراط علم بذلك : يسمى سمعاً .

فإن تعلق علم بذلك يسمى : فهماً .

وتعلقها بكيفية النور - بالجملة من المرئيات - يسمى : بصراً ورؤية .

وتعلقها بإدراك كل مدرك - الذي لا يصلح تعلق من هذه المتعلقات كلها إلا به - يسمى : حياة .

والعين في ذلك كله واحدة : تعدداً^(١) لتعلقات الحقائق المتعلقات والأسماء المسميات ، فتفهم .

٥٠ - مسألة : «علم اليقين» : معرفة الله بك ، إذا أنت عين الدليل عليه ، وهو إثبات ذات غير مكيفة ، ولا معلومة الماهية ، ومحكوم عليها بالالوهية ، سلطاناً وحجة : لا ريب فيه :

«عين اليقين» مشاهدة هذه الذات بعينها - لا بعينك - فناء كلياً : لا يعقل معها نسبة الوهية : إثباتاً أو نفياً .

لكن مشاهدة تفني الأحكام والرسوم ، وتمحق الآثار .

(١) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره : «تعدد» .

«حق اليقين» : نسبة الألوهية لهذه الذات : بعد المشاهدة لا قبلها .

وهو الفرق بين العلم والحق : ليس إلا .

وهنا سكت المحققون .

وبعد هذا : «حقيقة اليقين» ظهور الانفعالات عند العبد الكلي عن غيبته فيه به : غيباً كلياً ، وفناء محققاً .

وهذه غاية المراتب .

فالثلاثة [كتابية] ^(١) : علم : [عين] ^(٢) وحق .

والرابعة سنية ، قال (ع) : «فما حقيقة إيمانك : لكل حق حقيقة» ^(٣) .

فهذه الحقيقة : بها يخبر العبد المحقق نفسه في دعواه : في معرفة حق اليقين ، فتأمل .

٥١ - مسألة : مشاهدة الحق : لا تعطي الإحاطة بذاته ، ولذلك قال : ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ولو كانت المشاهدة تعطي معرفة مناسبة الألوهية للذات : لم تكن فائدة ، كقول رسول الله (ص) : في التجلي الإلهي في الدار الآخرة ، وقوله تعالى للناس : «أنا ربكم» ، فيقولون : «نعوذ بالله منك» ^(٤) .

(١) في المخطوطة بدون نقط ، والمعنى أنها مأخوذة من الكتاب ، وهو القرآن - إقرأ سورة التكاثر - ، وقوله تعالى : ﴿إنه لحق اليقين﴾ الآية : ٩٥ من سورة الواقعة ، وقوله : «والرابعة سنية» أي مأخوذة من السنة .

(٢) أولاً علم اليقين ، ثم عين اليقين ، ثم حق اليقين .

(٣) هذا جزء من حديث شريف صحيح ، أورده لك لتستفيد أيها القارىء (رحمنا الله وإياك) : «قال النبي (ص) لصحابي جليل (رضي الله عنه) ، اسمه حارثة بن مالك : كيف أصبحت يا حارثة ؟ .

قال : أصبحت مؤمناً حقاً .

قال : إن لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ .

قال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي وأظلمات نهارى ، وكأني بالجنة والنار ، وكأني بعرش ربي بارزاً .

قال (عليه الصلاة والسلام) : «عرفت فالزم : عبد نور الله قلبه» رواه البزار ، من حديث أنس (رضي الله عنه) ، والطبراني عن الحارث بن مالك ، وللحديث روايات أخرى ورواة آخرون .

(٤) في حديث طويل رواه الترمذي ، وغيره ، وهو حديث التجلي في عرصات القيامة قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار .

ولم يعرفوا أنه الحق ، مع مشاهدتهم إتياء .
فإذن : العلم بالالوهية : لا يلزم منه العلم بالذات .
فمدار المعرفة على الحقيقة : على علم ثلاث :
علم الالوهية .
وعلم الذات .
وعلم نسبة الالوهية لهذه الذات .
وبعد هذا كله : فلا إحاطة ، ولا إدراك .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
- تم بحمد الله ، وعونه وحسن توفيقه -
- وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم -
- وحسبنا الله ونعم الوكيل -
- تمت التنزيلات الليلية -

من كنوز أهل الله من رسالته نسب الخرقه

للإمام الأكبر والشيخ الأنور سيدي محي الدين بن عربي (رحمه الله تعالى) .

نقلتها من مجلة «لواء الإسلام» للمرحوم أحمد باشا حمزة (رحمه الله تعالى رحمه واسعة) ، الصادرة بتاريخ «سبعان سنة ١٤٠٠ هـ» ضمن موضوع بعنوان :
«آل بيت رسول الله (ص) في عهد النبوة» .

للشيخ الحافظ : أحمد بن محمد بن الصديق ، الغماري الحسيني (أعلى الله مقامه) .

وقد تكرم علينا بهذا العدد : فضيلة السيد الأخ الفاضل الكريم الشيخ أبو المعجد شبيب أحد علماء الأزهر الشريف ، وخطيب مسجد سيدي أحمد الدردير (رضي الله عنه) .

وهي خير هدية تهدي للمسلمين جميعاً ، لأن كل كلمة فيها مأخوذة . إما من كتاب الله تعالى أو من حديث رسول الله (ص) ولم تخرج عن ذلك .

وهي من أقوى الأدلة على أن القوم يأخذون علومهم من الشريعة الصافية .

- والله ولي الذين آمنوا -

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم

قال الشيخ الغماري (رضي الله عنه في الدنيا والآخرة) :

وقال العلامة الأمير ، في فهرسته :

واعلم أن الخرقه ، وعلم الراية ، والحزام ، ونحو ذلك : ليست هي المقصود الأصلي من الطريق ، بل مدار أصل الطريق مجاهدة النفس ، وإلزامها بالشريعة والسنة المحمدية في الباطن والظاهر ، ولذلك لما سئل الإمام مالك (رضي الله عنه) عن علم الباطن قال للسائل : «اعمل بعلم الظاهر يورثك الله علم الباطن»^(١) .

لكن مسند القوم : إن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر^(٢) ، وقد ورد تعميم النبي (ص) لبعض أصحابه في الجهاد ، وعقده اللواء له واغتفاره إنشاد الشعر والتبخر بين الصفيين ، كما قال : «إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع» .

وجعل الشعار في القوم ليجمع بعضهم على بعض .

فكذلك القوم تبركوا بالباس الخرقه ، وإنما الأعمال بنياتها ، ونشروا الأعلام ، واغتفروا هز الجسم في الذكر والإنشاد : إعانة على المجاهدة ، وليجتمع بخرقتهم أصحاب طريقتهم الذين هم يتعاونون بحال واحد ، من غير عصبية ولا بغض لغير خرقتهم . بل على حد ما قيل :

فنادمني بمثل لسان حالي تبرعني ، وأطرب من قريب

والمدعون اليوم أفسدوا الأوضاع ، واقتصروا على الصور الظاهرية :

(١) أخذها من قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾ ومن قول رسول الله (ص) : «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» .

[رواه أبو نعيم في الحلية]

(٢) لقول رسول الله (ص) : «رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» . قالوا : وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ .

قال : جهاد النفس .

[رواه البيهقي في الزهد]

واعلم بأن طريق القوم دراسة وحال من يدعيها اليوم كيف ترى
فالمقصود من الخرقة : ما وراءها ، لا مجرد لباسها ، ولذلك شرطوا على
لباسها - للإرادة والتحكم - شروط السير والسلوك :

وبعد : قال الشيخ الأكبر في رسالته «نسب الخرقة» :

أما بعد : فإن مما جاء به الرسول الكريم من العلي الحكيم ، في الكتاب
المنزل ، الذي هو القرآن العظيم ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري
سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير﴾^(١)

فالضروري من اللباس الظاهر : ما ستر السوءات ، وهو لباس التقوى : «من
الوقاية» والرياش : ما يزيد على ذلك ، مما تقع به الزينة التي هي «زينة الله
التي أخرج لعباده» من خزائن غيوبه ، وجعلها خالصة للمؤمنين ، في الحياة الدنيا
ويوم الاقامة^(٢) ، فلا يحاسبون عليها ، وإذا لبسوها وتزينوا بها من غير هذه النية ،
ولا هذا الحضور ، ولبسوا فخراً وخيلاء ، فتلك : زينة الحياة الدنيا .

فالثوب واحد ، ويختلف الحكم عليه باختلاف المقاصد .

ثم أنزل في قلوب العباد : لباس التقوى ، وهو خير لباس^(٣) ، وهو على
صورة لباس الظاهر سواء :

فمنه لباس ضروري : يوارى سوءة الباطن ، وهو تقوى المحارم مطلقاً .

ومنه ما هو مثل الريش في الظاهر ، وهو : لباس مكارم الأخلاق : مثل
نوافل العبادات ، كالصفح ، والإصلاح .

(١) سورة الأعراف : الآية : ٢٦ .

(٢) عبر الشيخ (رحمه الله) بيوم الاقامة ، بدلاً من يوم القيامة ، أخذاً من قوله تبارك وتعالى :
﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله﴾ وما دامت الاقامة للمؤمنين في الجنة ، فكذلك الاقامة
للكافرين في النار ، وهي قضية مسلمة .

وإعلم أن الزينة ، التي هي لباس الناس اليوم : يشترك فيها المؤمن والكافر ، ولذلك قال
تعالى : ﴿قل هي للذين آمنوا﴾ حلال ﴿في الحياة الدنيا﴾ شركاء مع غيرهم ﴿خالصة يوم
القيامة﴾ لا يشاركهم فيها أحد ، وذلك في دار المقامة الأبدية الذي لا فناء فيها ، والله تبارك
وتعالى أعلم .

(٣) من قوله تعالى : ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ .

وإن كان الشارع قد أباح لك أخذ حقك .

ولكن تركه مما يزين به الرجل في باطنه ، فهي زينة الله في الباطن ، وهو كل لبس ندبك الشارع إليه .

فقد تحقق لباس الباطن : أنه على صورة الظاهر شرعاً .

وكما يختلف الظاهر بالمقاصد والنيات ، كذلك يختلف لباس الباطن بالنيات والمقاصد .

ولما تقرر هذا في نفوس أهل الله : أرادوا أن يجمعوا بين اللبستين ويتزينوا بالزيتين ؟ ليجمعوا بين الحسنين ، فيثابوا من الطرفين ، فسنوا لباس هذه الخرقه على الهيئة المعلومه عندهم ، ليكون تنبيهاً على ما يريدونه من لباس بواطنهم ، وجعلوا ذلك صحبة وأدباً .

وأصل هذا اللباس - عندي - على ما ألقى في سري : أن الحق لبس قلب عبده المؤمن ، قال : «ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن» .

فإن الثوب وسع لابسه ، لمظهر الجمع بين اللبستين في زمان الشبلي وابن خفيف إلى هلم جراً ، فجرينا على مذهبهم ، فلبسناها من أيدي مشايخ جمه سادات ، بعد أن صحبتناهم ، وتأدينا بأدبهم ليصبح اللباس : ظاهراً وباطناً .

وشروط هذه الخرقه المعروفة على صورة ما أظهرها الحق من ستر السوءة .

فتستر سوءة الكذب : بلباس الصدق .

وتستر سوءة الخيانة : بلباس الأمانة .

وسوءة الغدر : بلباس الوفاء .

وسوءة الرياء : بخرقة الاخلاص .

وسوءة سفاسف الأخلاق : بخرقة مكارم الأخلاق .

وسوءة المذام : بخرقة المحامد .

وكل خلق دنى : بخرقة كل خلق سني .

وترك الأسباب : بتوحيد التجريد^(١) .
والتوكل على الأكوان : بالتوكل على الله .
وكفر النعمة : بشكر المنعم .
ثم تتزين بزينة الله ، من ملابس الأخلاق المحموده ، مثل : الصمت عما
لا يعينك .
وغض البصر عما لا يحل النظر إليه .
وتفقد الجوارح بالورع .
وترك سوء الظن بالناس .
وتصفح ما مضت به الأيام من أفعالك ، وما سطرته أقلام الكتبة الكرام
عليك .
والقناعة بالموجود .
وعدم التشوف إلى طلب المزيد إلا من أفعال الخير .
وتفقد أخلاق النفس .
ومعاهدة الإستغفار .
وقراءة القرآن .
والوقوف مع الآداب النبوية .
وتعرف أخلاق الصالحين .
والمنافسة في الدين .
وصلة الرحم .
وتعاهد الجيران بالرفق .

(١) يعني أنه يتوكل في كل حاله على مسبب الأسباب ، وهو التوكل الحق ، كما قال (ص) : «لو
توكلت على الله حق توكله : رزقت كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتعود بطناً» رواه البيهقي
في شعب الإيمان .

وبذل العرض .

وقد رغب رسول الله (ص) في ذلك بقوله : «ألا يستطع أحدكم أن يكون كأي ضمضم ؟ كان إذا أصبح يقول : اللهم أني تصدقت بعرضي على عبادك» .

وسخاوة النفس ، وهو : أن يبذلها في قضاء حوائج الخلق .

وصنائع المعروف ، مع الصديق والعدو .

والتواضع .

ولين الجانب .

وإحتمال الأذى .

والتغافل عن زلل الأخوان .

وعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة ، ومن تقدم من الأكابر .

وترك مجالسة الغافلين ، إلا أن نذكرهم ، أو أن نذكر الله فيهم .

والكف عن الخوض في الاعتراض في آيات الله .

وترك الطعن على الملوك^(١) والمذنبين من أمة سيدنا محمد (ص) .

وترك الغضب ، إلا عند إنتهاك محارم الله .

وترك الحقد والغل من الصدور .

والصفح عن المسيء ، وهو : أن لا تغضب لنفسك .

وإقالة أهل المروءات : «ذوي الهيئات»^(٢) .

والإبقاء على أهل السر .

وتعظيم العلماء وأهل الدين^(٣) .

(١) من قوله (ص) : «لا تسبوا الأئمة ، وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم لكم صلاح» رواه الطبراني عن أبي أمامة .

(٢) قال (ص) : «اقبلوا ذوي الهيئات زلاتهم» رواه الدار قطني ، والخطيب ، عن ابن مسعود ، والحاكم في الكنى عن أنس ، وابن حبان والعسكري في الأمثال ، والبيهقي .

(٣) قال (ص) : «أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء ، فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله» رواه الخطيب والديلمي عن جابر .

وإكرام ذي الشيبة^(١) .

وإكرام كريم القوم - كانوا من كانوا من مسلم أو كافر - كل ذلك على الحد المشروع ، مما يجوز لك أن تكرم به ذلك الشخص .

وحسن الأدب مع الله تعالى ، ومع كل واحد من حي وميت ، وحاضر وغائب .

ورد الغيبة عن عرض المسلم .

وإياك والتصنع والتشدد ، فإن كثرة الكلام يؤدي إلى سقطه .

وتوقير الكبير ، والرفق بالضعيف ، والرحمة بالصغير ، وتفقد المحتاجين ، ومواساتهم بالبر والصدقة ، وميسور القول والهداية وقرى الضيف ، وإفشاء السلام ، والتحبب إلى الناس : على الحد المشروع .

ولا تكن لعاناً ولا طعاناً ولا عياباً ، ولا صحاباً .

ولا تجز أحداً بالسيئة في حقك إلا إحساناً^(٢) .

والنصيحة لله تعالى ولرسوله (ص) ولأئمة المسلمين وعامتهم^(٣) .

ولا تنتظر الدوائر بأحد ، ولا تسب أحداً من عباد الله على التعيين ، من حي ولا ميت ، فإن الحي لا يعرف إن كان كافراً بم يختتم له ، وإن كان مؤمناً بما يختتم له .

ولا تعير أحداً من أهل الشهوات بشهواتهم ، ولا ترد الرئاسة على أحد^(٤) ،

= وروى ابن عساكر عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال : «أكرموا العلماء ، فإنهم ورثة الأنبياء» .

(١) من قوله (ص) : «من أجالل الله إكرام ذي الشيبة المسلم» رواه أبو داود بإسناد حسن .

(٢) بمعنى : أنك تقابل السيئة بالحسنة لقوله تعالى : ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ .

(٣) من قول رسول الله (ص) : «الدين النصيحة :

قالوا : لمن يا رسول الله ؟ .

قال : لله ورسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه البخاري في التاريخ ، والبخاري .

(٤) لقول رسول الله (ص) لأبي ذر : «يا أبا ذر أنك ضعيف وأناي أحب لك ما أحب لنفسي : لا

تأمرن على اثنين ولا تولين ما يتيم» رواه مسلم ، وأبو داود والنسائي .

ولا تواطىء عقبك خدمة عن أمرك (١) .

وإياك أن تترك الناس أن يبولوا في أذنك بنقل ما يسوؤك عنك وعن غيرك .

ولتحب المؤمنين كلهم : مسيئهم إليك ومحسنهم ، لحيهم الله ورسوله ،
ولا تبغضهم لبغضهم إياك (٢) ، أو من كان : غير الله ورسوله [فبهذا أوصاني
رسول الله (ص) في المنام في رؤيا رأيته في حق شخص ، وقع في بعض
شيوعي ، فأبغضته ، فرأيت رسول الله (ص) في المنام ، وقال لي : «لم أبغضت
فلاناً؟ فقلت له : لبغضه ووقوعه في شيخي ، فقال (عليه الصلاة والسلام) :
ألمست تعلم أنه يحب الله ويحبني ؟

قلت له : بلى .

قال : «فلم لا تحبه بحبه إياي ، وأبغضته لبغضه شيخك . فقلت له : يا
رسول الله : من الساعة» (٣) .

فما أحسنك من معلم ، لقد نبهتني على أمر كنت عنه غافلاً .

ولا تفرح بما ينتشر في العامة من ذكرك بما تحمد ، وإن كنت عليه ، فإنك
لا تدري : هل يبقى عليك ، أو يسلب عنك ؟ .

ولا تميز بين المؤمنين بخلق غريب محمود : يعرف عنك ، إلا أن كنت
ممن يقتدي به .

ولا تظهر الخشوع في ظاهرك بجمع أكتافك وأطرافك إلى الأرض ، إلا أن
تكون في باطنك كذلك .

ولا تحب التكاثر من الدنيا .

ولا تبال بجهل قدرك ، بل لا ينبغي أن يكون لنفسك عندك قدراً (٤) .

(١) ربما كان المقصود : لا تتعقب سقطات الخدم ، إلا في الأمر الذي تأمرهم به .

(٢) أي لا تبغضن أحد إلا أن تتحقق أنه يبغض الله ورسوله .

(٣) أي لا أفعل هذا من الآن .

(٤) يعني لا تبال بأنك مجهول القدر عند الناس ، فإن الناس ، لن ينفعوك بشيء ، بل أتهم نفسك
ولا ترفعها ، فإنك إن رفعتها خفضتك .

ولا ترغب في إنصات الناس لكلامك .

ولا تجزع من الجواب بما لا يسرك في حقك .

وأصبر للحق ، ومع الحق ۞ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً * وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ۞ .

وانصف من نفسك .

ولا تطلب الإنصاف من أحد في حقك .

وسلم على المؤمنين ابتداء .

ورد السلام على من سلم عليك .

وإياك والطعن على الأغنياء إذا بخلوا ، وعلى أبناء الدنيا إذا تنافسوا فيها ، ولا تطمع فيما في أيديهم .

وأدع للملوك وولاة الأمر ، ولا تدع عليهم ، وإن جاروا .

وجاهد نفسك وهواك فإنه أكبر أعدائك .

ولا تكثر الجلوس في الأسواق ولا المشي فيها .

وكف ضررك عن أئمة الدين .

وأترك الشهادة على أهل القبلة بما يؤدي عند السامعين إلى الخروج عنها .

وعليك بالإمساك عن الخوض في الأموات ، فإنهم قد أقضوا إلى ما قدموا^(١) ، وأترك المراء في القرآن^(٢) والقدر^(٣) وأترك مجالسة أهل الأهواء والبدع القاذحة في الدين .

(١) قال رسول الله (ص) : « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أقضوا إلى ما قدموا » رواه البخاري والإمام أحمد والنسائي .

(٢) قال (ص) : « المراء في القرآن كفر » رواه أبو داود والحاكم .

(٣) قال رسول الله (ص) : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا » رواه الطبراني .

وعليك بإخراج الحرص^(١) والحسد والعجب من قلبك ، بأن تصرف هذه الصفات في غير مواطنها المشروعة^(٥) .

وعليك بالدخول في الجماعة ، فإن الذئب لا يأكل إلا القاصية .

وإياك والعجلة في أمرك ، إلا في خمس : «في الصلاة لأول وقتها والحج عند وجود الإستطاعة ، وتقديم الطعام للضيوف قبل الكلام ، وتجهيز الميت ، وتجهيز البكر إذا أدركت ، وبذل المجهود في نصيح عباد الله من مسلم وكافر ومشرک ، وقطع أسباب الغفلة ، والمحافظة على إقامة الصلوات^(١) ، وتحسين نشأتها ، والقيام على النفس بالحسبة^(٢) والخروج من الجهل لطلب العلم ، وإن تستوصي بطالب العلم خيراً ، والندم على التفريط في استعمال الخير ، والتجافي عن الشهوات ودار الفسور ، واعتقاد مقت النفس ، فإن النفس - في اعتقاد أهل الله : كل خاطر مذموم ، ورد المظالم ، وإصلاح الطعمة^(٤) ، والسعي في إصلاح ذات البين ، فإن الله تعالى يصلح بين عباده يوم القيامة ، واسقاط الريب^(٥) ، والحذر الدائم^(٦) ، والخشية ، والهم في الله ، والحب والبغض في الله ، والمودة في قرابة رسول الله (ص) ، وموالة الصالحين ، وكثرة البكاء والتضرع إلى الله تعالى ، والإبتهال : ليلاً ونهاراً ، والهرب من طريق

(١) لعل الشيخ (رحمه الله تعالى) يريد أن هذه الصفات لها أوقات تكون محمودة فيها .

فالحرص ممقوت ، لكن : يجب أن تكون حريصاً على دينك ، وعلى درهمك أن تنفقه في ما أحل الله تعالى ، والعجب ممقوت إلا في مواضع - كما قال رسول الله (ص) عن أحد الصحابة ، وهو يبتخر معجباً بنفسه في القتال - هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن - والحمد مكرهه إلا في الخير ، تقول في نفسك مثلاً : كيف يفعل فلان هذا - من أفعال الخير - وأنا لا أفعله ، وهو هنا غيبة وليس بحسد .

(٢) وذلك لأن إقامة الصلاة شيء ، وأداءها شيء آخر :

الاقامة : أن تستحضر في نفسك أمام من ستقف ، وتنبذ الدنيا بمجدر الدخول فيها ، ولذلك كان القرآن الكريم حريصاً على أن يذكر الناس بإقامة الصلاة : لم يقل يا أيها الذين آمنوا صلوا - ولا مرة واحدة ، لأن المؤمن من طبيعته الصلاة ، وإنما دائماً يذكر الناس بالاقامة ، لأنه ليس كل مصل مقيماً للصلاة - والله تبارك وتعالى أعلم .

(٣) لقول رسول الله (ص) : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» .

(٤) لقول رسول الله (ص) لسعد بن أبي وقاص : «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة» .

(٥) الشك في الناس .

(٦) لقول رسول الله (ص) : «المؤمن كيس حذر فطن» رواه القضاعي .

الراحات^(١) ، والتذلل في كل حال إلى الله تعالى ، ومراقبة : الكمد ، وتنخيص العيش بالفكر فيما يتعين عليك من شكر المنعم فيما أنعم به عليك ، والقصد إلى الله تعالى في كل حال ، والتعاون على البر والتقوى ، وإجابة الداعي ، ونصرة المظلوم ، وإجابة الصارخ^(٢) ، وإغاثة الملهوف ، وتفريج الكرب عن المكروب ، وصوم النهار ، وقيام الليل ، وإن كان بالتهجد فهو أولى . وذكر الموت ، وتعاهد زيارة القبور^(٣) ، وأن لا تقول وأنت فيها هجر^(٤) والصلاة على الجنائز ، واتباعها : إن كنت ماشياً فأمامها ، وإن كنت راكباً فمن خلفها ، ومسح رؤوس اليتامى^(٥) ، وعيادة المرضى ، وبذل الصدقات ، ومحبة أهل الخير ، ودوام الذكر ، والمراقبة ، ومحاسبة النفس على أفعالها : الظاهرة والباطنة ، والأنس بكلام الله^(٦) ، وأخذ الحكمة من كلام كل متكلم^(٧) ، بل من نظرك في كل منظور ، والصبر على أحكام الله ، فإنك بعينه كما قال - **﴿وأصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾** والإيثار لأمر الله ، والتعرض لكل سبب يقرب إلى الله تعالى^(٨) ، واستفراغ الطاقة في محاب الله ومراضيه ، والرضا بالقضاء لا بكل مقضي^(٩) ، بل بالقضاء به ، وتلقى ما يرد من الله تعالى بالفرح ، وموالة الحق ، بأن تكون معه^(١٠) ، فإن الله مع عباده أينما كانوا ، ودر مع الحق حيثما دار . والتبري من الباطل ، والصبر في كل مواطن الامتحان ، والزهد في الحلال^(١١) . والاشتغال بالأهم في الوقت ، وطلب الجنة بالشوق إليها ، لتكونها محل رؤية الحق تعالى ،

(١) لأنك مسافر ، والمسافر لا راحة له إلا عندما يصل إلى غرضه .

(٢) عند مداهمة العدو بلاد المسلمين .

(٣) لقول رسول الله (ص) : «عليكم بزيارة القبور فإنها تذكركم الآخرة» .

(٤) الهجر : بضم الهاء : القبيح من القول .

(٥) لأن مسح رأس اليتيم يلين القلب .

(٦) القرآن الكريم .

(٧) لقول رسول الله (ص) : «الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها أخذها» رواه ابن النجار .

(٨) من قول رسول الله (ص) : «إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها : لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا نشقوا بعدها أبداً» رواه الطبراني .

(٩) لفهم هذه الكلمة راجع المسألة ٤٦ من التنزيلات اللبلة فإنها مبسطة هناك تماماً .

(١٠) فإن من كان مع الله كان الله معه كما ورد في الحديث الصحيح .

(١١) كما قال سيدنا عمر (رضي الله عنه) «كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام» وهذا هو معنى الزهد الصحيح والله تعالى أعلم .

ومجالسة أهل البلاء بالاعتبار ، ومحادثة المساكين ، والقعود معهم في محال فقرهم ، ومعونة من يطالبك حاله باعائه ، وسلامة الصدر ، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب ، وخدمة الفقراء . وأن تكون مع الناس على نفسك ، فإنك إذا كنت عليها فأنت لها والسرور بصلاح الأمة ، والغم بفسادها ، وتقديم من قدمه الله ورسوله ، وتأخير من أخره الله ورسوله : فيما قدمه ، وفيما أخره .

فإذا لبست هذه الملابس : صبح لك أن تقعد في صدور المجالس عند الله ، وتكون من أهل الصفوف الأولى ، فهذه ملابس أهل التقوى ، التي هي خير لباس ، فاجهد أن تكون هذه ملابسك أو أكثرها ، فعليه الجماعة وعليه ألبس شقيق البلخي حاتم الأصم - ولم يكن به صمم - وإنما كلمته امرأة فخرج منها صوت - يعني ضرطت - فخجلت من الشيخ ، فقال لها وهي تحدثه - أرفعي صوتك جداً - يظهر أنه لا يسمع - فزال خجلها وقالت : ما سمعني ، فسمي لذلك حاتم الأصم .

فعلى مثل هذه الأخلاق درجوا ، وهي لباسهم وحليهم ، وعليها لبست ، وألبست من ألبست الله . الحمد على ذلك .